د. ليلى بنت عبد الله السليمان المزروع
قسم علم النفس - جامعة أم القرى

دور المرأة
في الحفاظ على الكيان الأسري

الأندلسية
مركز الراية للتنمية الفكرية
جدة - دمشق

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم : (٧١)

دور المرأة
في
الحفاظ على الكيان الأسري

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١/٤
م ل د

دور المرأة في الحفاظ على الكيان الأسري

د. ليلى بنت عبد الله السليمان المزروع
قسم علم النفس - جامعة أم القرى

مركز الراية للتنمية الفكرية
جدة - دمشق

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مركز الراية للتنمية الفكرية

المملكة العربية السعودية-جدة- حي الصفا- شارع الشاكرين

جوال ٠٠٩٦٦٥٢٦٨٢٢٤٧ -ص ب ٤١٥٤٧-الرمز البريدي: جدة ٢١٥٣١

الجمهورية العربية السورية - دمشق

ص ب ٩١٨٤ - هاتف ٦١١٩٣٦١

مقـدمـة

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(١).

ومن هذا المنطلق وجه الإسلام عنايته بالفرد باعتباره لبنة من لبنات المجتمع الإسلامي إن صلحت صلح البناء وشيد على أسس متينة راسخة قوية يستطيع الصمود أمام الأزمات والأعاصير.

ولما كانت المرأة هي أساس تربية الفرد في المجتمع الإسلامي وعليها يقع العبء الأساسي في تنمية (الكيان) الإنساني للفرد من جميع جوانبه الجسمية الانفعالية والعقلية والاجتماعية والخلقية منذ اللحظة الأولى لمولده، حيث أولاه الإسلام جل العناية فامتدت العناية لتشمله منذ بداية تكوينه وعند وضع البذرة الأولى حين دعا رسول الله ﷺ إلى اختيار الزوجة الصالحة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**تخيروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم**»(٢) ولحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٣).

ومن هنا كانت عناية الإسلام بالفرد وحرصه عليه باختيار البيئة

---

(١) كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات فليصلى عليه (١٣٥٩).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب الأكفاء: حديث رقم (١٩٦٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب الأكفاء في الدين: حديث رقم (٥٠٩٠).

الصالحة لنمو تلك النطفة ألا وهي (رحم الأم).

ولما كانت المرأة تشارك الرجل مسئولية بناء الأسرة بل يقع عليها العبء الأكبر داخل المنزل، لذا كانت هي المسئولة بالدرجة الأولى في الحفاظ على كيان الأسرة، ومن هذا المنطلق كانت هذه الدراسة التي بين أيدينا والتي قدمتها كمشاركة في احتفالات المملكة بمناسبة مرور مائة عام على تأسيسها والتي كانت بعنوان «**دور المرأة في الحفاظ على الكيان الأسري في المجتمع السعودي المسلم**».

ولكي يتبين لنا الدور الذي تضطلع به المرأة للحفاظ على كيان الأسرة أصبح من الأهمية بمكان أن توضح بعض المصطلحات والتي يتبين لنا من خلالها أهمية وخطورة الدور الذي تضطلع به المرأة في عصر غلب عليه التغيير والتطور السريع، وفيما يلي عرض لأهم هذه المصطلحات.

مفهوم الدور:

لما كانت الأدوار التي يقوم بها الإنسان تتعدد وتتنوع وفقاً للمواقف، وللمراكز التي يحتلها، فالطبيبة تلعب دوراً مع المريض، يختلف عن دورها مع أبنائها، كما تلعب دوراً مغايراً مع زميلاتها من نفس التخصص، عن دورها مع زميلاتها من تخصص مختلف، أي للفرد الواحد مجموعة أدوار منوطة به (Role set).

ولما كانت الدراسة الحالية تتولى دراسة دور المرأة في الحفاظ على كيان الأسرة في المجتمع السعودي فإننا سنتناول هنا مفهوم كل من الدور، الكيان (بناء)، الأسرة، المجتمع ـ في اللغة ومن وجهة نظر علماء النفس.

مفهوم الدور في اللغة:

أصل كلمة «الدور» من دار الشيء يدور دوراناً، ويقال دار يدور واستدار بمعنى إذا طاف حول الشيء وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه[١]، ويُعرف أيضاً بأنه العمل أو المهنة التي يؤديها الفرد[٢].

---

(١) لسان العرب/ ابن منظور، ص١٠٣١.

(٢) قاموس أوكسفورد ١٩٧٨، ص١٤٦٦.

مفهوم الدور من وجهة نظر علماء النفس:

الدور الاجتماعي (Social Role):

هو الدلالة الوظيفية داخل الجماعة أو الشخصية كما تتكشف من خلال نمط معين للسلوك حيال الجماعة.

ويُعرف أيضاً بأنه السلوك المتوقع من الشخص الذي يشغل مكانة اجتماعية خاصة في المجتمع[(١)].

ويُعرّف مختار حمزة الدور بأنه: عبارة عن مجموعة من الأفعال المطلوبة من شاغل مركز معين على أساس خاصية مميزة مثل السن والجنس أو المهنة، فالمدرس مثلاً يقوم بدوره على أساس مهنته[(٢)].

ولما كانت الأسرة تعتبر الحضن الاجتماعي الذي تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية، لذا كان دور الأم داخل الأسرة هو وضع أصول التطبيع الاجتماعي، أي تشكيل الوجود الاجتماعي للطفل؛ وذلك من خلال إكساب الطفل مواقف وقيم وسلوكيات وعادات ومهارات واكتساب الأدوار الاجتماعية المختلفة[(٣)].

مفهوم الكيان (بناء) (Structure):

البنية أو التركيب أو البناء: بناء وترتيب الأجزاء الداخلة في الشيء وتنظيمها في كل معقد.

والجشطلتيون[(٤)] يقولون عن الكل المنظم أنه البنية، أي أنه ينتظم[(٥)].

---

(١) صراع الدور لدى المرأة السعودية العاملة وعلاقته بمستوى الطموح/ جوهرة عبد الله آل الشيخ، رسالة ماجستير، ص١٦.

(٢) أسس علم النفس الاجتماعي/ مختار حمزة، ص١٦٤.

(٣) علم النفس الاجتماعي/ سيد أحمد عثمان، ص٦٦.

(٤) أصحاب مدرسة في ألمانيا يؤكدون على الكل المتكامل.

(٥) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي/ عبد المنعم حنفي، ج٢، ص٣٤٩.

مفهوم البناء الاجتماعي (Social structure):

استخدم سبنسر وغيره من علماء الاجتماع المعاصرين هذا المصطلح للإفادة إلى نوع من الترتيب بين مجموعة نظم يعتمد بعضها على بعض.

وتعتبر وحدات البناء الاجتماعي هي ذاتها بناءات فرعية، والافتراض الأساسي هنا هو أن التكامل أو بقاء الشكل يتوقف على العلاقات بين الأجزاء وأدائها لوظائفها.

مفهوم المجتمع (Society):

يرى سبنسر أن المجتمع وحدة كلية متميزة تفوق الوجود الفردي، ويرى آخرون أن المجتمع هو الجماعة الكبرى التي ينتمي إليها الفرد والتي يجد الناس فيها العناصر الأساسية للحياة المشتركة بحيث يصبح المجتمع شبكة من الجماعات الاجتماعية[١].

وهناك من يرى أن المجتمع جماعة الناس لهم ثقافة مشتركة ومتميزة تحتل حيزاً إقليمياً محدداً، وتتمتع بشعور الوحدة، وتنظر إلى ذاتها ككيان متميز، ويشبه المجتمع كل الجماعات الأخرى في اشتماله على بناء من أدوار مترابطة، وسلوك محدد تفرضه المعايير الاجتماعية.

يشير تعريف المجتمع إلى جوانب هامة من الحياة الاجتماعية تتجلى في الجوانب التالية:

أ - المعنى العام يعني مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس.

ب - كل تجمع للكائنات الإنسانية من الجنسين، ومن كل المستويات العمرية يرتبطون معاً داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظمها وثقافتها المتميزة.

ج - النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس[٢].

---

(١) قاموس علم الاجتماع/ أ.د. محمد عاطف غيث، ص ٤٤٣ - ٤٥١.

(٢) قاموس علم الاجتماع/ أ. د. محمد عاطف غيث، ص ٤٥١ - ٤٥٢.

ومجتمع الدراسة هنا هو المجتمع السعودي الذي تم توحيده وبناء كيانه وربط أجزائه بدخول جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله الرياض عام ١٣١٩هـ.

والدستور الذي دعم وساعد على ترسيخ هذا الكيان والصرح القوي الشامخ، والذي يزداد رسوخاً يوماً بعد يوم، هو كتاب الله وسنة نبينا محمد ﷺ.

مكانة المرأة
وأدوارها الاجتماعية عبر التاريخ

أولاً: المرأة في الحضارة الصينية:

أحوال المرأة في هذه الحضارة متقلبة متغيرة من وقت لآخر؛ فكانت المرأة الصينية تحظى باليسير من الاحترام كأم قبل أيام كونفوشيوس؛ لاشتهار الصين قديماً بتوقير الأسرة، والأم هي مصدر وجود الأسرة، ثم إن الناس في أول عهودهم كانوا يعرفون بأمهاتهم لا بآبائهم.

لذا فإن المرأة كان لها بعض الشأن لفترة محدودة إذ كان للزوجة أن تحتفظ باسمها بعد زواجها، والذي يفترضه المؤرخون أن قيام نظام الإقطاع في الصين هو الذي قلل من شأنها، وكان ذلك بداية انحطاط مكانتها وامتهانها إذ جاء نظام الإقطاع بنمط من الأسرة الأبوية، فمع أن الأسرة كلها كانت تمتلك أرضها امتلاكاً مشتركاً فإنها كانت تعترف بالسلطة الكاملة للأب على الأسرة، وعلى أملاكها، فلما حل عهد كونفوشيوس كاد سلطان الأب أن يكون سلطاناً مطلقاً في جميع الأمور؛ فكان في وسعه أن يبيع زوجته وأبناءه ليكونوا عبيداً.

فصار الصينيون يعتبرون المرأة متاعاً يباع ويشترى، فالمرأة مهانة مستضعفة في كل الأحوال، وولادتها كانت تعد شؤماً وسوءاً، حتى إن عادة قتل البنات كانت موجودة، وذلك إذا صادفت الأسرة صعوبة في إعالة البنات مثلاً لكثرتهن فإنها تتركهن في الحقول ليقضي عليهن الصقيع أو الحيوانات

الضارية، وكانت البنت طيلة حياتها خاضعة لطاعات ثلاث أبيها وزوجها وأخيها، ومحرومة من كافة حقوقها المالية والاجتماعية، وإذا تزوجت انتقلت إلى بيت زوجها، وسميت باسمه، وإذا مات الزوج كان عليها ألا تتزوج بعده وكان يطلب منها في بداية الأمر أن تحرق نفسها تكريماً له[١].

ثانياً: المرأة في الحضارة الهندية:

لقد أنكرت الحضارة الهندية إنسانية المرأة، ولم تعترف بقيمتها الاجتماعية، ولم يكن لها حق في الاستقلال عن أبيها بل كانت كالسلعة في يد أبيها، وكانت كالرقيق عند زوجها يستعبدها مدى الحياة[٢].

فكانت المرأة منحطة لا تعد شيئاً مذكوراً، فهي أمة الرجل، ولا يجوز لها أن تكلمه إلا باحترام، ولا تتجرأ أن تتلفظ باسمه، وإنما تخاطبه يا مولاي وأحياناً إلهي، وقلما يوجه إليها كلمة واحدة، وتمشي خلفه بمسافة، ولا تأكل معه بل تأكل مما تبقى منه[٣]، وبلغ الإفراط في امتهانها أنهم يحتقرون الرجل الذي يحادث زوجته محادثة عائلية[٤].

ثم تنتقل السلطة بعد ذلك إلى ولدها، فإذا مات الزوج والأب والابن وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب الزوج، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موته، وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد[٥]، فقد ورد في كتبهم الدينية ما يلي: يحسن بالزوجة أن تلقي بنفسها على الحطب المعد لإحراق زوجها الميت، فكانوا إذا وضعوا الجثة على الحطب تتقدم الزوجة مبرقعة فيميط الكهنة برقعها وتنزع حلاها

(١) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ١٨.

(٣) الإسلام والمرأة المعاصرة/ البهي الخولي، ص ١١.

(٤) أستاذ المرأة/ محمد سالم البيحاني، ص ١٢.

(٥) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص ١٨، المرأة في القرآن/ عباس محمود العقاد، ص ٥٢.

وزينتها وتوزعها على أقاربها وذويها، ثم تفكك ضفائرها، ويأخذ كبير الكهنة يمناها، ويدور بها حول الحطب ثلاثاً، ثم ترقى على الحطب فترفع رجلي زوجها إلى جبهتها إشارة إلى خضوعها له، وتتحول فتجلس عند رأسه واضعة يدها اليمنى عليه، فيضرمون النار، ويحرقونها مع جثة زوجها، وشاعت هذه العادة شيوعاً عظيماً وامتدت إلى العصور الحديثة حيث أحرقوا نحو ٦٠٠٠ في ١٠ سنين من ١٨١٥م إلى ١٨٢٥م.

فإذا لم تحرق تنبذ، وتلقى الهوان الذي يفوق النار، فهي في نظرهم بغيضة منبوذة إلى الأبد، لا تأكل إلا وجبة واحدة في اليوم، ولا تتشح إلا قميصاً واحداً، وقد لا تنام إلا على الحصير، وتحلق رأسها مبالغة في الدلالة على أنها أرملة، وتبقى أرملة مدى الحياة.

وغالباً ما تكون الأرامل صغيرات في السن حيث بلغ عدد الأرامل في الهند أكثر من خمس عشرة ألف طفلة، وأربعمائة ألف فتاة لم يبلغن الخامسة عشر ربيعاً؛ لأن العادة عندهم تزويج البنات في سن الحداثة: الخامسة والسادسة: من العمر[١].

ثالثاً: المرأة في الحضارة البابلية والآشورية:

كانت المرأة مهانة مضطهدة عندهم، وصور ذلك أن البنت كالسلعة في يد أبيها، فالرجل إذا افتقر عرض بناته للدعارة طلباً للمال[٢]. وكان الزواج يعد بيعاً صريحاً حيث يبيع الأب ابنته في مزاد علني، وعليه «أي الأب» أن يرد ثمن المرأة إذا وقع خلاف بينها وبين زوجها الراغب عنها أو سيدها المشتري، فمن كان له بنات في سن الزواج يأتي بهن مرة في كل عام إلى مكان يتجمع فيه عدد كبير من الرجال، ثم يصفهن دلال عام، ويبيعهن جميعاً واحدةً إثر واحدةً بادئاً بأجملهن، ولم يكن يبيعهن إلا بشرط أن يتزوجهن المشترون، ومن قوانينهم: «إذا ضرب إنسان بنتاً وماتت، لم يحكم بالموت على الضارب بل حكم به على ابنته».

---

(١) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص ٢٠ ـ ٢١.

(٢) أستاذ المرأة/ سالم البيحاني، ص ١٠.

ومن أغرب ما ذكر في معاملة الزوجات ما يقوله هيردوت: «إن البابليين إذا حوصروا كانوا يخنقون زوجاتهم لكي لا يستهلكن ما عندهم من الطعام»[١].

رابعاً: المرأة في الحضارة الفارسية:

وضع المرأة عند الفرس كان متغيراً من وقت لآخر، ومكانتها غير ثابتة؛ فطوراً تهبط، وطوراً تتحسن، حسب الظروف وحسب مزاج الرجال الذين يسنون لها القوانين في كل عصر وكل حضارة، فكانت محتقرة منبوذة وفي القوانين الزرادشتية لها حق اختيار الزوج وحق طلب الطلاق وملك العقار وإدارة شئونها المالية، لكن هذا التحسن لم يدم طويلاً، فبانتهاء عهد زرادشت عادت إلى ما كانت عليه من قبل من انحطاط المنزلة.

والفرس كأمةً حربية يفضلون الذكور على الإناث لأنهن ينشأن لغيرهم ويستفيد منهن غير آبائهن، ومما يؤيد ذلك ما ذكره كزينوفون، لما بحث عن التربية والتعليم في فارس لم يذكر شيئاً عن تربية البنات وتعليمهن، حتى إن وول ديورانت في كتابه قصة الحضارة قال: كان التعليم يقتصر على أبناء الأغنياء في الغالب، ولم يذكر شيئاً عن تعليم البنات.

أما مركزها في العائلة فقد كانت النساء تحت سلطة الرجل المطلقة، فكان يتصرف فيها كما يتصرف بسلعة وأدوات بيته، وكانت نساء فارس في الأدوار الطبيعية كالحيض والنفاس يبعدن عن المنازل، ويقمن في خيام صغيرة تضرب لهن في ضواحي المدينة أو البلدة، حتى إنه كان يجب على الخدم الذين يعهد إليهم تقديم الطعام والشراب أن يلفوا أنوفهم وآذانهم وأيديهم بلفائف من القماش الغليظ حتى لا يتنجسوا إذا مسوهم أو مسوا الخيام أو الأشياء المحيطة بهم حتى الهواء[٢].

ولم يكن يسمح للنساء بالاختلاط بالرجال مطلقاً حتى أن المتزوجات يحرم عليهن أن يرين أحداً من الرجال ولو كانوا آباءهن أو أخواتهن، وإذا

---

(١) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦ ـ ٢٧.

أرادت نساء الطبقات العليا الخروج من بيوتهن يخرجن في هوادج مسجفة «أي ساترة»، وكانوا يتصرفون فيها كالسلعة تباع وتشترى، ويحكم عليها أحياناً بالموت، وكان للرجل أن يتزوج بمن شاء من النساء بلا استثناء[1] لأن الزواج بالمحرمات كان مباحاً عند الفرس[2]، وعندما ظهر مزدك أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء[3].

خامساً: المرأة في الحضارة اليونانية:

كانت تابعةً لأبيها بنتاً، ثم لمالكها زوجةً، ثم لأبيها أرملةً، وقد يهبها أو يبيعها في السوق، أو يوصي بها لشخص آخر قبل مماته.

كانت المرأة في المجتمع اليوناني أول عهده بالحضارة محصنة وعفيفة، لا تغادر البيت لكن محرومة من الثقافة، وكان الحجاب شائعاً في البيوتات العالية[4].

وكانوا يعتبرونها رجساً من عمل الشيطان؛ لاحتقارهم إياها؛ ولهذا فإنهم عند حلول أي مصيبة في المجتمع أو فشل يقدمون البنات قرباناً إلى آلهتهم لرفع المصيبة[5]؛ وكانوا ينظرون إليها نظرة التسلط والغلبة.

أما من الوجهة القانونية فقد كانت المرأة عندهم تباع وتشترى في الأسواق، وهي مسلوبة الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلى حقوقها المدنية[6]، ولم يعطوها حقاً في الميراث في أثينا فلا ترث البنت إن كان لها إخوة، وإن لم يكن لها إخوة فإنه يصبح لها علاقة بالإرث وإن كانت غير وارثة فعلاً بل تصير الزوجة للأكبر من ورثة والدها والولد من هذا الزوج ينسب لجده وإليه ينتقل إرثها من أبيه[7].

---

(١) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٣٤-٣٥.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين/ أبو الحسن الندوي، ص ٤٨.

(٣) الملل والنحل/ الشهرستاني، ص ٢٥٠، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين/ أبو الحسن الندوي، ص ٤٩.

(٤) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص ١٣.

(٥) المرأة وحقوقها في الإسلام/ مبشر الطرازي، ص ٨.

(٦) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص ١٣.

(٧) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص ٣١.

أما في أسبارطة فقد توسعوا في إعطائها شيئاً من الحقوق المدنية فأعطوها حقاً في الإرث وأهلية التعامل لوضع المدينة الحربي حيث كان أهلها في حرب وقتال؛ فكان الرجال يشتغلون بالحرب دائماً ويتركون التصرف في حال غيبتهم للنساء[١].

وكانوا يأخذون المرأة الولود من زوجها بطريقة العارية، لتلد للوطن أولاداً من رجل آخر، والمرأة التي لا تلد ولداً قوياً صالحاً للجندية تُقتل، ويعير الرجل المسن زوجته لغيره من الرجال حتى تُنجب للدولة أطفالاً أقوياء.

وفي أوج حضارة اليونان تبدلت المرأة واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات[٢] فشاعت الفاحشة.

وعلى الرغم مما بلغه الفكر اليوناني من ازدهار وتقدم وبرغم المعارف العقلية والعلوم الطبيعية التي اكتشفوها إلا أنهم عاملوها معاملة فيها كثير من القسوة، ومن أمثلة ذلك كانت المرأة إذا وضعت ولداً ذميماً قضوا عليها.

سادساً: المرأة في الحضارة الرومانية:

ميلادها غير مرغوب فيه فللأب أن يعرض البنت للموت إذا ولدت له، وكانوا يقتصرون في تعليمها على شئون المنزل.

وقد جرد القانون الروماني المرأة الرومانية من معظم حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها. فقبل زواجها تكون تحت السيطرة المطلقة لرئيس الأسرة الذي قد يكون أباً أو جداً لأبيها، وتعطيه هذه السيطرة كافة الحقوق عليها حتى حق الحياة والموت، وحق إخراجها من الأسرة، وبيعها بيع الرقيق[٣].

لم يكن للبنت حق التملك، ويضاف المال الذي تكتسبه إلى أموال رب الأسرة سواء عند والدها، أو من يقوم مقامه، أو كانت متزوجة، وفي العصور المتأخرة في عصر قسطنطين تقرر أن الأموال التي ترثها البنت من أمها تتميز عن أموال أبيها ولكن له الحق في استعمالها واستغلالها، وإذا تحررت البنت من سلطة

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص ١٤.

(٢) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٩ ـ ١٠.

(٣) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص ٢٨ ـ ٣٠.

رب الأسرة يحتفظ الأب بثلث أموالها كملك له ويعطيها الثلثين، وفي عهد جوستنيان قرر أن ما تكتسبه البنت بسبب عملها، أو عن طريق شخص آخر غير رب أسرتها يعتبر ملكاً لها ولكنها لا تتصرف فيه إلا بموافقة رب الأسرة[1].

وإذا مات زوجها دخلت في وصاية أبنائها الذكور أو إخوة زوجها أو أعمامه[2]، ولذلك قالوا: توجب عاداتنا على النساء الرشيدات أن يبقين تحت الوصاية لخفة عقولهن[3] ثم عدل عن ذلك بحيلة وهو أن تبيع المرأة نفسها لولي تختاره وتتفق معه أن هذا البيع للتحرر من قيود الولاية فلا يعارضها الولي الذي اشتراها في أي تصرف تقوم به[4]، ثم بعد زواجها يحل زوجها محل أبيها أو جدها في الحقوق السابقة.

وكانت الفتاة تدخل في أسرة زوجها بمجرد خضوعها لزواج السيادة بل لقد بلغ أمر اعتبار الزوجة من المبيعات التي يبتاعها الرجل من الأب بمقدار مادي وفي كلتا الحالتين تنقطع صلتها بأسرتها السابقة[5].

هذا وإن تاريخ الرومان يروي لنا مؤتمراً كبيراً انعقد في رومية بحث شؤون المرأة وانتهى إلى اتخاذ القرارات التالية:

١ ـ إن المرأة موجود ليس لها نفس «شخصية إنسانية»، ولهذا فإنها لا تستطيع أن تنال الحياة في الآخرة.

٢ ـ يجب على المرأة ألا تأكل اللحم وألا تضحك، وحتى يجب عليها ألا تتكلم.

٣ ـ إن المرأة رجس من عمل الشيطان؛ ولهذا فإنها تستحق الذل والهوان في المجتمع.

٤ ـ على المرأة أن تقضي كل حياتها في طاعة الأصنام وخدمة زوجها.

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص ١٥ ـ ١٦.
(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة/ البهي الخولي، ص ١٢ ـ ١٣.
(٣) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص١٣.
(٤) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص١٦.
(٥) حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص٢٨.

واهتم الرومانيون في تنفيذ القرارات، حتى إنهم كانوا يضعون قفلاً على فم المرأة فكانت في بيتها وفي الشوارع في فمها قفل من حديد يسمونه «موزلير».

كما أصدر فالتنيان الثاني ـ أحد ملوك الرومان ـ أمره الملكي بإباحة تعدد الزوجات بدون تحديد عدد، ولم يروِ التاريخ أي استنكار قام به الأساقفة ورؤساء الكنائس الرومانية ضد هذا الأمر الذي خالف التقاليد الرومانية المعمول بها في حق المرأة، وقد دام تعدد الزوجات في ملة الرومان إلى أن جاء عهد كوستينيان فوضع قوانين في منع تعدد الزوجات عودة إلى التقاليد القديمة إلا أن السواد الأعظم من الرومانيين لم يلقوا بالاً لهذه القوانين، وكان الأسقف ورئيس الكنيسة يفتيان بإباحة تعدد الزوجات مما أدى إلى بقاء تعدد الزوجات في المجتمع الروماني.

وبالإجمال كانت المرأة في تقاليد الرومان في أحط منزلة حتى أن التقاليد كانت تعطي للزوج سلطة قتل زوجته[(١)].

وإذا مات الزوج فإنه يُقذف بها في النيران إذا كان قد أوصى بحرق جثته فسلطته سلطة المالك الذي يتصرف في ماله كيف يشاء لأن الأنوثة كانت تعد في عرفهم من أكبر الأسباب الداعية إلى انعدام الأهلية في القانون الروماني[(٢)].

سابعاً: المرأة في الحضارة اليهودية:

مع أن اليهودية دين سماوي إلا أنهم حرفوه حيث كانت البنت عندهم دون مرتبة أخيها بل هبطوا بها إلى مرتبة الخدم، وكانت لا ترث مع إخوتها الذكور، وكان لأبيها أن يبيعها وهي طفلة أو دون البلوغ[(٣)]، ومن لم تبلغ من البنات الثانية عشر فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذا السن تماماً وليس لها شيء بعد ذلك[(٤)].

وتنكر اليهودية على المرأة حقها بصراحة في المشاركة بالنظام الكنسي

---

(١) المرأة وحقوقها في الإسلام/ مبشر الطرازي الحسيني، ص٩ ـ ١١.

(٢) المرأة وحقوقها في الإسلام/ الصادق عفيفي، ص٩ ـ ١٠.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص١٩.

(٤) اليهودية/ أحمد شلبي، ص٢٩٨.

لكي لا تنصرف عن دورها كخادمة أو راعية لشؤون المنزل، وقد فرضت اليهودية على المرأة الخضوع والطاعة والاستسلام والعبودية من دون أي ثواب أو مكافأة بل عليها أن تفعل ما يطلب منها من قبيل الواجب والضرورة(١).

وعلى الزوجة مهما بلغت ثروتها ومكانتها أن تقوم بكل أعمال المنزل صغيرة كانت أو كبيرة، ولزوجها أن يرغمها على ذلك لأن البطالة تؤدي إلى الفساد(٢)، والبنت في الأسرة اليهودية مهانة ذليلة و عبء لا مستقبل لها إلا الزواج وإنجاب الأولاد، ولم يكن لها حق في اختيار الزوج، وغالباً ما كانت تزوج في سن مبكرة لرجل يكبرها، والزواج مصدر إذلال وإهانة للمرأة لأنه صفقة شراء بين الزوج والوالد، ويطلق العبرانيون على الزوجة «بولة» يعني المملوكة.

وكان المفروض أن يتحاشى الرجل المرأة حتى أن بعض الرجال لا يتحدثون مباشرة مع المرأة، كما لم تحظ المرأة باحترام الزوج(٣).

وينص الفكر اليهودي على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها يتصرف فيه كيف شاء(٤)، ولا ترث المرأة أباها إن كان لها إخوة ذكور، أما إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين فإنها ترثه ولكن لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها(٥).

ولا ترث المرأة زوجها وكل ما تأخذه بعد موته هو مؤخر الصداق، أما باقي ثروتها فقد تؤول إلى زوجها وتؤول منه إلى ورثته، و إذا أخذت مؤخر صداقها مضت إلى حال سبيلها، أما إذا لم تطالب به فلها أن تعيش مع الورثة من مال التركة، وإذا كان لزوجها المتوفى الذي لم يعقب أخ فإنه

---

(١) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٢٢ نقلاً عن المرأة اليهودية، ص١٠ ـ ١١ ـ ١٥ ـ ١٧.

(٢) اليهودية/ أحمد شلبي، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٢٣، نقلاً عن قصة الحضارة، ج٢، ص٣٧٨، والمرأة اليهودية، ص١٥ ـ ١٦ ـ ١٨، واليهودية/ أحمد شلبي، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٤) اليهودية/ أحمد شلبي، ص٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٥) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص١٩.

يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة[1].

والمرأة اليهودية النفساء تكون نجسة لمدة أسبوع إن ولدت ذكراً، ولمدة أسبوعين إن ولدت أنثى[2]، والحائض نجسةٌ أيضاً، والمرأة في ولادتها أو حيضها تعتبر خطيئة في الفكر اليهودي، ولا تتطهر إلا بتقديم قربان إلى الكاهن من أجل خطيئتها، وإذا كان المولود أنثى فإن العقوبة تتضاعف[3].

ولا حد لتعدد الزوجات في الشريعة الموسوية، فللرجل أن يتزوج بمن شاء حسب رغبته وبقدر ما يستطيع أن يعولهن، ويفهم من أخبار العهد القديم أن داود وسليمان جمعا بين مئات الحرائر والإماء، جاء في سفر الملوك عن سليمان عليه السلام: وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري[4].

ثامناً: المرأة في الحضارة المسيحية:

لقد كانت لخطيئة آدم وزوجه الوارد ذكرها في التوراة والإنجيل المحرفين أثرها الفعال في معاملة النساء وما شرع في حقهن، قال بولس: «إن المرأة أدخلت إلى هذا العالم الموت»[5].

ومن هذا المنطلق كانت نظرية المسيحية الأساسية في شأن المرأة أنها ينبوع المعاصي، وأصل السيئة والفجور، وباب من أبواب جهنم، فحسبها ندامة وخجلاً أنها امرأة، وعليها أداء الكفارة ولا تنقطع عن أدائها أبداً لأنها هي التي قد أتت بالشقاء لهذه الأرض وأهلها[6].

---

(١) اليهودية/ أحمد شلبي، ص٣٠٠ ـ ٣٠٢.

(٢) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص٤١.

(٣) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٢٥.

(٤) المرأة في القرآن/ عباس محمود العقاد، ص١١٢ ـ ١١٣.

(٥) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٢٦ نقلاً عن رسالة بولس إلى روميا ٥:٦.

(٦) الحجاب/ أبي الأعلى المودودي، ص٢١.

وأصدر البرلمان الإنجليزي قراراً في عصر «هنري الثامن» ملك إنجلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد ـ أي الإنجيل ـ لأنها تعتبر نجسة[١]، وقد غالى رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة فكانوا يقولون: «إنه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء، و أن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن على الأرض من لعنات»، وذهب البعض إلى أبعد من هذا فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان، وأنه يجب أن تلعن النساء، لأنهن سبب الغواية، وكانوا يقولون: إن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى[٢].

كما أعلنوا أنها من باب الشيطان، وأنها سلاح إبليس للفتنة والإغراء فعليها أن تستحي من جمالها، وذلك لما رأوا من انحلال أخلاقي شنيع في المجتمع الروماني، وأن المرأة مسؤولة عن هذا كله لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات وتتمتع بما تشاء من اللهو وتختلط بمن تشاء من الرجال، فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن الأعزب عند الله أكرم من المتزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان[٣].

ولما دخلت أمم الغرب في المسيحية كانت آراء رجال الدين قد أثرت في نظرتهم إلى المرأة، وفي القرن الخامس عقد الفرنسيون مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وأخيراً قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب، وليس للمرأة حق التصرف بأموالها دون إذن زوجها[٤]، ولا حق لها في كسب يدها بل كل ما عندها ولها ملك لزوجها[٥] حتى الملابس التي تلبسها لا حق لها في ملكيتها.

ولذا أصدر قرار البرلمان الأسكوتلاندي عام ١٥٦٧م بأن المرأة

---

(١) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة / نجية غلام نبي، ص٢٠٧، نقلاً عن عودة الحجاب، القسم الثاني، ص٤٦.

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة/ البهي الخولي، ص١٤.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص٢٠ ـ ٢١، والمرأة المسلمة أمام التحديات/ أحمد عبد العزيز، ص١٨.

(٤) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص٢٠.

(٥) الحجاب/ أبي الأعلى المودودي، ص٢٣.

لا يجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء، وأعجب ما ورد من أخبارهم عن المرأة ما قاله فيلسوف إنجليزي: «إن الزوجات كانت تباع أو تعار في إنجلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر وذلك بمقتضى قانون خاص شرعته الكنيسة فباع رجل زوجته بست بنسات، وألغي هذا القانون عام ١٨٠٥م.

ولما قامت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة لم تشمل بتحريرها المرأة فقد جاء النص على أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة، وظلت النساء طبقاً للقانون الإنجليزي حتى منتصف القرن الماضي غير معدودات من المواطنين، ولم يكن لهن حقوق شخصية أو اقتصادية»[١].

---

(١) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٢٧.

مكانة المرأة في الجاهلية

كانت المرأة العربية قبل الإسلام مضطهدة مظلومة مهضومة في كثير من حقوقها؛ فلقد كانت معظم القبائل تحتقر المرأة وتمنعها من مزاولة حقوقها.

ولما كانت المرأة في نظرهم هي المخلوق الوضيع، ولما وصلت إليه من مهانة وذلة واحتقار فإنهم قد عبروا عن ذلك بنسبتها إلى الله، تعالى شأنه وتنزه عن كل هذا، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧].

يقول القرطبي: نزلت في خزاعة وكنانة فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، فكانوا يقولون: ألحقوا البنات بالله، «سبحانه» نزه نفسه وعظمها عما نسبوه إليه من اتخاذ الأولاد. «ولهم ما يشتهون» أي: يجعلون لأنفسهم البنين ويأنفون من البنات[(١)].

وترتب على هذا أنهم يئدون البنات؛ فلقد بلغت القسوة وتحكمت الغلظة في قلوبهم فيئدون فلذات أكبادهم، ولذلك لم يكن هناك قلب أقسى وأغلظ من قلب العربي الذي يحفر القبر لابنته وهي تنفض الغبار عن وجهه ولحيته، ثم يدفنها فيه حية خشية العار أو الفقر[(٢)].

ولقد وأد أحدهم ثمان بنات، وقيل اثنتي عشرة ابنة، فلقد قدم قيس بن عاصم - رضي الله عنه - على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/ تفسير القرطبي، ، ج٥.

(٢) أستاذ المرأة/ محمد سالم البيحاني، ص١٣.

ثمان بنات لي في الجاهلية قال: «فاهد إن شئت عن كل واحدةٍ بدنة» ـ وفي رواية ـ قال: يا رسول الله إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة، قال: «**أعتق عددهن نسماً، فأعتق عددهن نسماً**»[1].

ولقد بلغت القسوة والغلظة مبلغاً لم تبلغه في أي عصرٍ من العصور كما تحكمت وتمكنت من قلب العربي في الجاهلية، حيث يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٤٠﴾ [الأنعام: ١٤٠].

ولما كان الآباء يحرصون على وأد بناتهن حتى وإن كبرت، فقد دفع هذا بعض الأمهات خشية هذا المصير، وهو أن تكبر الابنة فيئدها الأب، أن تحفر بنفسها حفرة قبل أن تلد، فإذا جاءها المخاض تمخضت على رأس الحفرة، فإن ولدت بنتاً رمت بها وإن ولدت ابناً حبسته[2].

وكانت كراهيتهم هذه للبنات تعود إلى الأسباب التالية:

أ ـ أن الفتاة لا تعني شيئاً في الحرب.

ب ـ خشية العار.

ج ـ خشية الفقر ورغبة في التخلص من واجب التربية، فيقتلون أولادهم في هذه الحالة ذكوراً وإناثاً.

د ـ اعتقادهم أن البنت رجس خلقه الشيطان أو من خلق إله غير إلٰهم، وأن مخلوقاً كهذا شأنه ينبغي التخلص منه[3].

ولقد كانت المرأة في الجاهلية تطوف بالكعبة عارية من جميع ثيابها، يقول ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إن المرأة في الجاهلية كانت تطوف عارية تقول:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير/ تفسير سورة التكوير، ج٤، ص٤٧٩.

(٢) تفسير أبي السعود، ج٥، ص٨٣٨.

(٣) المرأة المسلمة أمام التحديات/ أحمد عبد العزيز الحصين، ص١٥.

اليوم يبدو بعضه أو كله   فما بدا منه فلا أحله[1]

ومما يثير الدهشة أن يئد الأب ابنته خشية العار، وتطوف المرأة بالبيت عارية؛ كما أن هناك تساهلاً شديداً في أمر النكاح؛ فلقد كان النكاح في الجاهلية له عدة صور نوردها على النحو الآتي:

أولاً: نكاح الناس اليوم:

وهو أن يخطب الرجل إلى الرجل ابنته وما تحت يده، ويصدقها بصداق معين ثم ينكحها.

ثانياً: نكاح الاستبضاع:

وصورته إذا طهرت المرأة من طمثها[2] ورغبة من الزوج في نجابة الولد فإنه يرسل إلى رجل يعرفه ويكون من أكابرهم ورؤسائهم، فيجعله يطأ زوجته، ثم يعتزلها زوجها حتى يبين حملها من ذلك الرجل الذي عاشرها.

ثالثاً: نكاح السفاح:

وصيغته أن يجتمع الرهط ما دون العشرة عند المرأة، فيصيبونها فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم، فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فتلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل[3].

رابعاً: نكاح البغايا:

وصورته أن يجتمع عدد من النسوة في مكان واحد، وينصبن على أبوابهن الرايات؛ لتكون علماً فيجتمع إليهن الرجال فلا تمنع المرأة من

---

(١) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير، ج٢، ص٢٠١.

(٢) أي عادتها الشهرية.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري: كتاب النكاح، عن عائشة رضي الله عنها حديث رقم (٥١٢٧).

جاءها، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لها القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطته[1] به، ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك[2].

خامساً: نكاح الشغار:

وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو من له ولاية عليها على أن يزوجه الآخر ابنته، أو ابنة أخيه أو أخته من غير صداق بينهما.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ نهي عن الشغار، والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق، وفي رواية: **«لا شغار في الإسلام»**[3].

سادساً: نكاح المتعة:

وصيغته أن يشترط عقد الزواج لأجل معلوم، فإذا انقضى الأجل حرمت عليه، فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن متعة النساء[4].

سابعاً: نكاح البدل:

وصورته أن يتنازل كل واحد عن زوجته للآخر، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك[5].

ثامناً: نكاح المقت (الزواج بالميراث):

وكان يحدث حيث كان الرجل يرث أرملة أخيه بعد موته أو يرثها

---

(١) أي ألصقته، انظر مادة لوط في لسان العرب، ج١٠، ص٣٩٤.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري: كتاب النكاح، عن عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٥١٢٧).

(٣) صحيح مسلم، ج ٢، ص١٠٣٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح، ج٢، ص١٠٢٨، رقم ٣٢.

(٥) سنن الدار قطني، ج٣، ص٢١٨.

أقرب الرجال إلى زوجها، فإن كان له ولد من زوجة أخرى كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه ويعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه، فإن أراد أن يعلن عن رغبته منها طرح عليها ثوباً، أما إذا كان الولد الأكبر لا يريد الزواج بها أي لا يرغب فيها يزوجها بعض إخوانه، وإذا لم يريدوا الزواج يحبسونها حتى تموت فيرثونها أو تفتدي نفسها[1].

(1) المرأة المسلمة أمام التحديات/ أحمد عبد العزيز الحصين، ص١٠٩.

صور إيجابية قبل الإسلام

ورغم ما لاقته المرأة العربية في العصور الجاهلية من ظلم واضطهاد ومهانة واحتقار إلا أن هناك صوراً مضيئة للمرأة العربية اختصت بها بعض القبائل، فمنحت المرأة الحرية الشخصية، فأصبح لها رأي ومشورة في أمر زواجها، فهذا أوس بن حارثة يستشير بناته في الحارث بن عوف عندما أتى خاطباً وقد استشارهن واحدة واحدة انتهى بتزويج ابنته الثالثة بهيسة.

وأبت الخنساء أن تزف إلى دريد بن الصمة، وقالت لأبيها عندما استشارها في أمره: أتراني بتاركة بني عمي مثل عوال الرماح وناكحة شيخ بن جشم هامة اليوم أو غداً.

وطلبت هند بنت عتبة من أبيها أن يستشيرها في أمر زواجها فقال لها: ذلك لك، ثم رضيت بأبي سفيان زوجاً لها.

ولما رغبت خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ في محمد ﷺ لكرم أخلاقه وحميد صفاته عرضت نفسها عليه.

كما تتمتع المرأة في العصر الجاهلي بالحرية المالية حيث كانت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ تستأجر الرجال للخروج بتجارتها إلى الشام وقد كان هذا مقابل ما تدفعه لهم من أجر[1].

---

(١) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات/ نجبة غلام نبي، ص٣٦ ـ ٣٧.

فضلاً عن ذلك فقد لعبت المرأة دوراً كبيراً أساسياً واجتماعياً، فها هي عاتكة بنت عبدالمطلب تشترك في حلف الفضول، وتشارك عاتكة بنت مرة زوجة عبدمناف في حلف الأحابيش، وتجير فكيهة بنت قتادة السليك ابن السلكة، وريطة بنت جذل ربيعة بن مكدم وتقبل إجارتها(١).

(١) حقوق المرأة وواجباتها للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص٤٩.

المرأة في الإسلام

جاء الإسلام في أواخر القرن السادس الميلادي وكانت المرأة تعيش صوراً شتى من الظلم والمهانة؛ فوضع الميزان الحق، فرفع مكانتها، وقرر كرامتها، ورفع عنها وزر جاهلية عاشتها وعانت منها الذل والمهانة والاحتقار، جاء الإسلام على لسان محمد ﷺ فجعلها والرجل في الإنسانية سواء، والتكاليف العبادية واحدة، والطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ واجبة عليهما سواء الذكر والأنثى.

ونورد هنا بعض المبادئ التي قررها الإسلام للأنثى وأعلى شأنها بها.

١ ـ الإنسانية:

المرأة كالرجل في الإنسانية سواء. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النِّساء: ١].

٢ ـ دفع عنها اللعنة التي ألصقها بها رجال الديانات السابقة، وكونها سبباً لخروج آدم من الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البَقَرة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وهنا تنسب الآيات إلى آدم ـ عليه السلام ـ الذنب في العصيان والضلالة.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣] والآية تبين هنا إقرارهما بالذنب والتوبة، يعني أن آدم وحواء كانا شريكين، ومن هنا نجد أن هذه الآيات نفت عن المرأة التهمة التي لحقت بها، وأنها سبب خروج آدم من الجنة.

٣ ـ منحها حق الحياة:

منح الإسلام المرأة حقها في الحياة، وذلك حين حرم وأدها وأكد ذلك تأكيداً عظيماً. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: الآيتان ٨،٩]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

كما حارب التشاؤم بها والحزن عند ولادتها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وبهذه الآيات جميعها حرم الإسلام قتل الأبناء كما حرم وأد البنات الذي كان سائداً في الجاهلية، كما حرم قتل النفس على وجه العموم.

٤ ـ الحقوق والواجبات:

ساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات والتكاليف العبادية، ومنها حق الميراث وحق التصرف في مالها. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] فهي كالرجل سواء في العقوبة والثواب[١].

٥ ـ حق النفقة والرضاعة والحضانة والتربية:

كفل الإسلام للمرأة حق النفقة أماً وزوجةً وأختاً وابنةً فنفقتها واجبة على من يعولها.

وذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك، حيث أوجب على الرجل أن ينفق على زوجته المطلقة بحيث يكفل للأم ولوليدها الغذاء، ثم بعد الولادة تبدأ

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص٢٦.

الرضاعة، وهنا يوجب على الوالد المولود له النفقة.

قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ [الطّلاق: ٦]، وتوضح الآيات المدة التي تستحق فيها الأم المرضعة النفقة بسنتين كاملتين. وقال تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٣][1]، ونفقة المولود واجبة على الأب، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٣][2] وهذا يعني أن نفقة المولود جنيناً ورضيعاً واجبة على الأب ابتداءً وإذا وجبت بسببه النفقة لمن تحمله وترضعه فنفقته واجبة من باب أولى.

وللصغار ذكوراً وإناثاً حق الحضانة في حال افتراق الوالدين بالطلاق وللأم في الدرجة الأولى حق الحضانة، وذلك لأن الطفل في سني حياته الأولى يكون محتاجاً لحنان الأم ورعايتها أكثر من الأب، فعن عبدالله بن عمر: «أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت أحق به ما لم تنكحي**»، فأوجب لها بذلك رسول الله ﷺ حق احتضان الطفل»[3].

ولما كان العرب يكرهون الإناث ويحزنون عند ولادة الأنثى فقد جاءت السنة النبوية مشجعة على رعاية البنات وتربيتهن، فقد جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «**من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يبلغن أو يموت عنهن أنا وهو كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى**»[4]، وعنه ﷺ قال: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه**»[5].

---

(١)(٢) إن صدور تشريع من رب السماء يوجب للأم نفقتها وهي مطلقة، وحتى بعد أن تضع حملها يؤكد فوائد الرضاعة الطبيعية، الأمر الذي يظل الكثير من النساء حتى يومنا هذا يجهلنه والبعض الآخر يتقاعس عنه محافظة على جمال الجسم والمظهر.

(٣) سنن أبي داود، ج ٦، ص٣٧١.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص١٤٨.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٥، ص٤٨٦.

وحين يضع الإسلام تلك الحوافز والجوائز التي هي مطلب كل مسلم ألا وهي الجنة فلن يتقاعس الآباء عن واجباتهم حيال بناتهم وتربيتهن ورعايتهن الرعاية الإسلامية[1].

٦ ـ حق التعليم:

قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العَلق: الآيات ١ ـ ٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبالعلم وتعلم كتاب الله تكون العبادة، وبالقراءة والكتابة تحفظ حقوق البشر.

ولقد حث الإسلام على طلب العلم والتعليم وجعله فرضاً لازماً على المسلمين، فلقد قال رسول الله ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**، وهذا الحديث ظاهر لفظه أن الخطاب موجه للرجل إلا أن العلماء اتفقوا على أن كل ما يطلب من الرجل تعلمه يطلب من المرأة كذلك[2].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن في الدين»[3]

٧ ـ حق الإرث:

منحها الإسلام حق الإرث زوجةً وأماً وابنةً كبيرة أو صغيرة أو حملاً في بطن أمها، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النِّساء: ٧].

٨ ـ حق اختيار الزوج:

منح الإسلام المرأة الحق في قبول أو رفض الخاطب حين يتقدم لخطبتها، فعن أبي سلمة: أن أبا هريرة حدثهم أن النبي ﷺ قال: **«لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن»**، قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها، قال: **«أن تسكت»**.

---

(١) حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة للدكتورة/ فاطمة نصيف، ص٩٥ ـ ٩٦.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص٢٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ١، ص٤١.

وحين تتزوج نظم حقوق الزوجين وجعل الرئاسة للرجل، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨].

٩ ـ ضمان حقوق المرأة في تشريع الطلاق:

شرع الطلاق علاجاً للخلافات الزوجية، وحين يشتد الخلاف ويتعذر الإصلاح بين الزوجين يقع الطلاق لمرة واحدة تُقيم المرأة في بيت الزوجية، مدة العدة، وله أن يراجعها خلال هذه المدة فيعود إليها بمجرد المعاشرة الزوجية.

أما إذا انقضت العدة ولم يراجعها أصبحت الطلقة بائنة أي أن الزوج لا يمكن أن يعود إليها إلا بمهر وعقد جديد وليس لأحد حق إجبارها في العودة، فإذا تم الإصلاح بينهما وتكرر بينهما الخلاف للزوج حق طلاقها طلقة ثانية وفي هذه الحالة طُبقت عليها الأحكام السابقة.

فإذا تم الإصلاح بينهما وعادت الزوجة إلى حكم الزوجية ثم وقع الخلاف وتعذر الإصلاح بينهما ووقع الطلاق للمرة الثالثة بانت منه الزوجة البينونة الكبرى، ومعنى هذا أن الزوجة لا يمكن أن تعود لزوجها إلا بعد انتهاء عدتها ثم اقترانها بزوج آخر ثم طلاقها منه وانتهاء مدة عدتها على ألا يكون هناك احتيال من أجل العودة إلى زوجها الأول.

ولحرص الإسلام على استقرار الحياة الزوجية وضُعت كل هذه القيود والضوابط على الطلاق، فحين شُرعت مدة العدة كان ذلك حماية للمرأة وحِفاظاً على الأسرة، فعندما يقع الطلاق من الرجل لحظة الغضب مثلاً أُعطيت لهما الفرصة للمراجعة ومُنحت الإقامة في بيت الزوجية لرعاية أولادها.

وعندما فرض الإسلام على الزوجة غير الحامل أن تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام لوفاة زوجها كان ذلك تكريماً لها ولبراءة الرحم من اختلاط الأنساب.

ولحرص الإسلام على الأسرة مُنحت المرأة حق الإقامة والنفقة وهي في بيت الزوجية في الطلاق الرجعي، وحين يقع الطلاق البائن أوجب الإسلام النفقة على الزوج حين تكون الزوجة حاملاً، يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: ٦].

ومن عناية ورعاية الإسلام للأسرة أن كفل الإسلام للأم المرضع النفقة فترة الرضاعة، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطَّلَاق: ٦].

ولقد حفظ الإسلام للمرأة حقوقها المالية فحين يقع الطلاق الرجعي ترثه المرأة إن مات الزوج أثناء العدة ويرثها هو بالمثل[١].

١٠ ـ قيد عدد الزوجات:

حد من تعدد الزوجات وقيده بأربع، حيث كان العرب وغيرهم من الأمم تبيح التعدد غير مقيد بعدد.

١١ ـ ولاية المرأة:

جعل ولايتها قبل الزواج تحت وصاية أوليائها، وجعلها ولاية رعاية وتأديب وعناية بشؤونها وتنمية لأموالها لا ولاية تملك واستبداد[٢]، وأوصى بالإحسان إليهن، قال الرسول ﷺ: **«استوصوا بالنساء خيراً»**[٣].

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي، ص١٢٢ ـ ١٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، ٥١٨٦.

الـزواج

لقد كان الزواج في الجاهلية تفوح منه رائحة الإثم والفساد والخيانة والفوضى، كله وسائل فاسدة لمقاصد باطلة، معظمه يجرد الإنسان من إنسانيته وكرامته، وينزله منزلة الحيوانات العجماء، فاختلاط الأنساب حاصل، والشك في النسل وارد، والتكافل والتعاون مفقود، لا غرض لهم إلا المتعة الزائلة، ولا مقصد لهم إلا نجابة الولد الموهومة، ولا هدف لهم إلا قضاء الوطر بأي أسلوب، غاية في الخسة والدناءة مقصدهم ووسيلتهم، نعم هكذا كان زواج الجاهلية في جملته ما عدا نكاح الناس اليوم الذي أقره الإسلام وهذبه واحتاط له حتى أصبح الطريق المشروع والوسيلة المثالية للتناسل والتكامل والتمتع بالحلال المباح.

تعريف الزواج

الزواج في اللغة:

الاقتران، قال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1] [الطور: ٢٠] أي قرناهم: وزوج الشيء بالشيء وزوجه إليه قرنه»[2].

والزوج ضد الفرد، وكل منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين هما

(١) حكمة التعدية بحرف الباء اختصاص ذلك بأهل الجنة.

(٢) تاج العروس/ الزبيدي، ج ٢، ص٥٤.

زوجان، وهما زوج[1].

فالرجل والمرأة إذا اقترنا بعقد النكاح يقال لكل منهما زوج، وقد يقال للمرأة زوجة، وقد شاع استعمال كلمة الزواج في اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام، فإذا أطلق لا يقصد منه إلا هذا المعنى.

الزواج في الاصطلاح:

هو عقد يفيد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخر على الوجه المشروع قصداً[2].

مقاصد الشارع من الزواج

إن المتتبع لأحكام الزواج في الإسلام يلحظ أنه يشتمل على خمسة مقاصد قيمة وهي:

النسل، والعصمة من الاتصالات المحرمة، ورفع الدرجات الأخروية، والتكامل بين الزوجين والتعاون على الحياة، وتحصيل المتع الدنيوية، وفيما يلي دراسة لأهم هذه المقاصد.

١ ـ النسل:

يقول ابن الجوزي: تأملت في فوائد النكاح، ومعانيه، وموضوعه، فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل[3].

وهذا المقصد هو المقصد الضروري في الإسلام، فالله تعالى قادر على خلق الناس ابتداءً من غير حراثة وازدواج، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٩].

ولكن الحكمة الإلهية اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع

---

(١) مختار الصحاح/ أبي بكر الرازي، (٧٨).

(٢) الدر المختار وحاشيته رد المختار/ ابن عابدين، ص٣.

(٣) صيد الخاطر/ ابن الجوزي، ص٤٦.

الاستغناء عنها؛ إظهاراً للقدرة وتحقيقاً للمشيئة، فقد خلق آدم من تراب، وعيسى من غير أب. ومع ذلك فالقاعدة الإلهية والحكمة الربانية اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب والزواج هو سبب للنسل الصالح.

ولقد رغب القرآن الكريم في النسل فالآية التالية توضح أنه من سنن المرسلين، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرّعد: ٣٨]، ويقول تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٨].

ويقول ابن تيمية: «والإعراض عن الأهل والأولاد ليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو دين الأنبياء»(١)، ويقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فالنسل والذرية جعلها الله زينة وجمالاً للإنسان.

وكما أكدت الآيات السابقة على أهمية النسل وضرورته للإنسان، فإن السنة أيضاً تؤكد على هذا الجانب، وترغب فيه:

فعن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ **«أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح»**(٢) رواه الترمذي.

ويوضح الفقهاء أهمية الزواج باعتباره عبادة (سنة مشروعة) لتحصيل النسل: «ليس لنا عبادة شرعت من عند آدم إلى الآن ثم تستمر في الجنة إلا الإيمان والنكاح»(٣).

ولذلك لم يكن المقصد الأساسي من الزواج هو إشباع تلك الطاقات الغريزية فحسب، بل أكد الإسلام على أهمية النسل، ولذلك ندب ورغب الرسول ﷺ في الزواج بالمرأة الولود.

فعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات جمال وحسب، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «لا!» ثم أتاه الثانية

---

(١) الفتاوى الكبرى، ج ٥، ص١١٨.
(٢) جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، ج ٤، ص١٩٦.
(٣) الأشباه والنظائر/ ابن نجيم، ص١٧٧.

فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»**(١).

وكذا فإن الآثار المروية عن السلف الصالح تؤكد ذلك؛ فهذا عمر بن الخطاب يكثر من الزواج ويقول: «ما أتزوج إلا لأجل الولد»(٢)، وهذا يعني أن إكثار عمر بن الخطاب لم يكن بهدف الزواج عينه، وإنما كان مقصده إكثار النسل الصالح، والجيل المسلم جيل محمد ﷺ؛ ليفاخر بهم يوم القيامة.

ولقد اجتمعت في الزواج دواعي الشرع والطبع والعقل(٣)، فأما دواعي الشرع من الكتاب والسنة والإجماع فظاهرة، وأما دواعي الطبع فواضحة حيث أن كلاً من الرجل والمرأة يميلان إلى بعضهما البعض بحكم الغريزة وبحكم الحاجة إلى التكامل والتعاون، وأما دواعي العقل فكل عاقل يريد أن يبقى ذكره على مر العصور، قد يكون هذا بالعمل الصالح، أو العلم النافع، أو الولد البار، ولا سبيل إلى الولد الصالح العامل القوي إلا بالزواج الشرعي(٤).

والآيات الدالة على ذلك كثيرة؛ فلقد ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧]، أي انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى والمقصود الأعظم من ذلك، وهو: حصول الذرية أي ابتغاء الولد.

وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣]، أي ما يقدم للنفس، وهو الذرية، أي الولد الناتج من المكان الطبيعي للمباشرة الجنسية يقدم؛ ليكون شفيعاً له يوم القيامة(٥).

---

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٢٠٥٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٨٠٥).

(٢) إحياء علوم الدين، ج ٢، ص٢٣. وانظر تفسير القرطبي، ج ٩، ص٣٢٧.

(٣) فتح القدير، ج ٢، ص٣٤١.

(٤) المقصد من عقد الزواج للدكتورة/ صالحة دخيل الحليس، رسالة ماجستير غير منشورة، ص٦٨.

(٥) الأسرة تحت رعاية الإسلام/ عطية صقر، ص١٠٥.

٢ ـ تنظيم الطاقات الجنسية (تحصيل المتع الدنيوية):

إن من آيات الله الدالة على عظمته، وكمال قدرته أن خلق الإنسان، وأودع فيه مجموعة من القوى والطاقات الغريزية، والتي تحتاج من تارة لأخرى إلى التفريغ، وحيث إن الإنسان قد فضله الله وكرمه على سائر المخلوقات فلم يشأ أن يجعل تلك الغرائز تنطلق دون وعي، أو ضابط خاصة الغريزة الجنسية، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ [النِّساء: ٢٢ ـ ٢٣].

وبهذا وضع الله تعالى للدافع الجنسي سبيله المأمون، ولكي يحمي الله النسل من الضياع وضع نواة الأسرة المؤمنة التي تحوطها حنان الأمومة، وترعاها عاطفة الأبوة في ظل دوحة الإيمان فتنبت نباتاً حسناً، وتثمر ثمارها اليانعة، فقد أمرنا عز وجل باجتناب نكاح المشركين والمشركات(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١].

فالإسلام دين الفطرة، وما من نظام يعالج الفطرة كما عالجها الإسلام؛ لذلك فإن الدين الإسلامي قد وضع لتلك الطاقات الضوابط بحيث لا يطلق الإنسان شهواته، ويشبعها بكافة الطرق والوسائل؛ لأن الغايات من وجودها إنما كانت لأهداف سامية تجعل الزواج هو الوسيلة الشرعية لضبط الشهوة، والحفاظ على النوع، والتكاثر، وزيادة النسل، وعمارة الأرض.

وكما جعل الإسلام الزواج الوسيلة الشرعية لإشباع تلك الشهوة والطاقة فإنه قد حرم التبتل والرهبانية، فقد روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام/ محمد محمود محمد، ص١٤٥.

أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله، وأثنى عليه، فقال: **«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي، وأنام وأصوم، وأفطر، وأتزوج من النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[1].

وحيث إن الدين الإسلامي دين وسط، فإن الرسول ﷺ لم يقر أياً منهم على طريقته، فليس في الإعراض عن الزواج مظهر من مظاهر التقوى والورع، بل يدعو الإسلام إلى التوازن بحيث لا تدمر فيه طاقة واحدة من طاقات البشر، وإنما تعمل جميعها في اتزان واعتدال دون اعتداء إحداها على الأخرى[2].

ومن هنا كان سلوك المسلمين تجاه الغريزة سلوكاً فطرياً وطبيعياً لا تحكمه العقد النفسية والفكرية التي وقع فيها آباء الكنيسة المسيحية، ولا التخبطات والانحرافات الحادة التي وقع فيها الفرس، ولا الإغراق في الشهوات والإدمان عليها كما حدث في الحضارة الهندية، ولا الفوضى الجنسية التي وقع فيها عرب الجاهلية، ولا التحلل والإباحية التي غطت وجه الحضارة الصناعية الحديثة، وإنما تحكمه نظرة الإسلام إلى فطرة الإنسان وما جبل عليه من دوافع، فتشبع الدوافع كلها باعتدال وتوازن وانسجام في إطار نظيف يحقق الغايات السامية من وجود الأسرة وتماسك المجتمع.

٣ ـ إعفاف النفس من الحرام (العصمة من الاتصالات المحرمة):

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٤] ومن هذه الآية نستدل على إقرار الغريزة الجنسية، وأنها شهوة أصيلة في الناس، إلا أن الدين الإسلامي تسامى في إعلاء هذه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٩، ص١٧٥.
(٢) دستور الأسرة في ظلال القرآن/ أحمد فائز، ص٧٣.

الغريزة، وارتفع بها عن درجة الحيوانية حين وجهها الوجهة الإسلامية، وجعل في الزواج والوطء بملك اليمين الوسيلة الشرعية لإشباع تلك الغريزة. وحرم إشباعها بالوسائل غير الأخلاقية كالزنا واللواط والسحاق والاستمناء، واعتبرها كلها اعتداء على الفطرة وانحراف عنها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: الآيات ٥ ـ ٧].

ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النُّور: ٣٢]، وفي ذلك حث إلهي على الزواج وترغيب فيه لما فيه من الفوائد الجمة التي تعود على الإنسان مثل الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن[(١)].

وإذا ما تملكت الشهوة الإنسان جعلت من نفسه مرتعاً خصيباً للهواجس والضلالات، ولن تدع فرصة تمر عليه إلا زينت له السوء حتى لو كان واقفاً بين يدي ربه في الصلاة[(٢)]، ولذلك وجه الرسول ﷺ فيما روي عن جابر بن عبدالله: «**إذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**»[(٣)]، وعن جابر أن النبي ﷺ رأى امرأة تدخل على زينب فقضى حاجته، وخرج، وقال: «**إن المرأة إذا أقبلت بصورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن فيها مثل الذي بها**»[(٤)]، وقد يكون الهدف من هذا الموقف من رسول الله ﷺ هو تعليم أمته؛ ولذلك كان الزواج الشرعي عصمة وعفة، ومن ينحرف عن هذه القاعدة يكون شاذاً.

ولذلك كانت الدعوة لمن لم يتزوج التزام العفة ووسيلتها التقوى والعمل الصالح وخاصة الصوم. فهذا عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) إحياء علوم الدين، ج ٢، ص٢٤.

(٢) الأسرة تحت رعاية الإسلام/ عطية صقر، ص١١١.

(٣) رواه مسلم في صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٩، ص١٧٩.

(٤) رواه مسلم في صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٩، ص١٧٧.

يروي لنا فيقول: كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً فقال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(١).

ويقول تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٣] فالآية توجه الشباب إلى طلب العفة لمن لا يستطيع الزواج إذا لم تمكنه ظروفه المادية من ذلك من حيث القيام بالمهر والنفقة؛ فضلاً عن ذلك فهي توضح أن الزواج عفة لمن تمكن من القيام بالمهر والنفقة.

هذا وقد تكفل الله تعالى بمساعدة المتزوج الذي يريد العفاف، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله**»(٢).

ومن هنا كان الزواج الشرعي إعفافاً للبصر وما يترتب على ذلك من إثارة الشهوة في نفس الإنسان، فيتمكن من خلال الزواج إشباع الشهوة، وتحقيق المتعة الجسدية التي تحقق للإنسان الإشباع والرضا والتوازن.

وقد أشار ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» إلى مقاصد الشريعة من إشباع الغريزة الجنسية بالطريق المشروع الذي حدده الإسلام فقال: وأما الجماع والباه فكان هديه ـ أي النبي ﷺ ـ فيه أكمل هدي، يحفظ به الصحة، ويتم به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده الأصلية؛ أحدها: حفظ النسل ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم، والثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن، والثالث: قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة(٣).

---

(١) فتح الباري، ج ٦، ص١٢٢.

(٢) رواه النسائي في سننه، ج ٦ص٦١، وحسنه الألباني في صحيح النسائي برقم (٢٩٢٣).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص٣٠٧.

ولقد أكد العلم على أهمية انضباط الغريزة، وعدم الإفراط فيها، فيقول الكيس كاريل: ومن المعروف أن الإفراط الجنسي يعرقل النشاط العقلي، ويبدو أن العقل يحتاج إلى وجود غدد جنسية حسنة النمو، وكبت مؤقت للشهوة الجنسية حتى يستطيع أن يبلغ منتهى قوته[1].

---

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة/ سيد قطب، ص١٣٤.

فوائد الزواج

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الـــرُّوم: ٢١]، إن المتدبر لهذه الآية يجد أنها تشير إلى أربع فوائد تتحقق من الزواج، وفيما يلي تلك الفوائد، أو الثمرات التي اشتملت عليها الآية السابقة:

١ ـ خلق الأزواج من الأنفس.

٢ ـ جعلها سكناً للزوج.

٣ ـ إقامة المودة بينهما.

٤ ـ جعل الرحمة بينهما.

وفيما يلي دراسة تفصيلية لما سبق ذكره:

أولاً: خلق الأزواج من النفوس:

الزوج: القرين مماثلاً كان أو غير مماثل، قال الراغب الأصفهاني: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة: زوج، ولكل قرينين فيها، وفي غيرها زوج، ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً أو مضاداً زوج.

قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القِيَامَة: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: ٣٥].

والأزواج: جمع زوج، والمراد به هنا المرأة بقرينة عود الضمير إليها مؤنثاً في قوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٢١].

ومعنى هذا أن المرأة من الرجل، وأن الرجل من المرأة، قال تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٥]، يقول ابن كثير في تفسيره: لو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً، وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة وهي المحبة، والرحمة وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو لرحمته بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما[١]، وغير ذلك.

ولما كانت المرأة والرجل من جنس واحد فخصائصهما وعناصرهما وما به إنسانية كل منهما واحدة، وليس أحدهما أفضل في باب الإنسانية من الآخر[٢]؛ فالنساء شقائق الرجال، كما ورد مرفوعاً عن عائشة رضي الله عنها[٣]، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التّوبَة: ٧١] ولن يفضل أحدهما الآخر في البشرية أو الإنسانية وما يترتب عليها من العمل والجزاء والحساب، فلن تكون الأنثى أفضل من الذكر بإنجاب البنين والبنات، ولن يكون الذكر أفضل من الأنثى لما فُضّل به من القوة الجسمية... فكلاهما سواء.

يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: ٩٧]، ويقول تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير، ج ٣، ص٤١٤.

(٢) منهج السنة في الزواج/ محمد الأحمدي أبو النور، ص٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة برقم (٢٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٢١٦).

ونحن هنا بصدد جوهر كل من الرجل والمرأة نعني الإنسانية (أي مناط التكليف والمحاسبة والجزاء) التي لا ينقص فيها أحدهما عن الآخر، فلا القوة ولا الجمال ولا الجاه ولا المال بأساس صحيح يشاد عليه صرح الزوجية.

يقول الرسول ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[(١)].

وحين يكون الرجل على درجة من التقوى يُبنى صرح الزوجية على أساس بنيان متين، فتشيع فيه الرحمة، وتدوم المودة والمحبة، وتغشاه السكينة والطمأنينة.

وأما طبيعة الدور الذي يؤديه كل منهما فقد اقتضت أن يختلفا بدنياً كما يختلفا نفسياً وكان من حكمة الله تعالى وقوع الاختلاف الخَلْقي والخُلُقي بينهما بما ميز الله به الرجل من مواهب وقدرات أهلته لأن يفضل عليها بدرجة القيادة أو القوامة.

وما من بشر ينكر ما فضل الله به الرجل على المرأة، يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢١٨].

ومعنى هذا أن فضل الرجل على المرأة لا يمكن أن ينكره مسلم؛ لأن كل عمل لابد فيه أن تؤمر المجموعة أميراً عليها؛ ليتولى أمر القيادة، وكل سفينة لها ربان، وحيث إن الرجل مكلف بالإنفاق، وخصه الله جلت قدرته بخصائص تميز بها عن المرأة، فقد كانت الأسرة بحاجة إلى من يقود رحلتها في الحياة، لكي تسير السفينة، وتنجح في الوصول بركابها إلى مرفأ الأمان، ولابد لها من قبطان ناجح ماهر، فإن تخير القبطان الماهر المرأة ذات الدين، وكان هو على تقوى من الله قيض الله لتلك السفينة النجاح والفلاح حين تُهدي لذلك المجتمع من يؤدي الرسالة من بعدها ويُسهم في بناء المجتمع.

ثانياً: السكن إليها:

السكن متصل بالسكون وهو: ثبوت الشيء بعد تحرك، كما يتصل

(١) البخاري، ج ٩، ص١١٠ من الفتح، مسلم ٥١/١٠.

بالسكينة، وهي: الاطمئنان وزوال القلق والخوف، وهذه أولى مراتب العاطفة الزوجية، وهو في الواقع نوع من الترقي النفسي للموجود البشري من حيث إن هذه السكينة تعبير عن تلبية حاجة هذا الكائن إلى أن يُحِب ويُحب، أعني الحاجة إلى موجود بشري آخر، وعلى ذلك فإن الدلالة الحيوية لمولد هذا الحب في تلك العلاقة الزوجية ليس هو التناسل أو التفريغ الجسدي، بل هي التحرر من العزلة النفسية بالدخول في هذه السكينة التي تقتضيها وحدة الجنس فيهما بقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[١] [التوبة: ١٢٨].

ثالثاً: المودة بين الزوجين:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الرُّوم: ٢١].

المودة: المحبة، وهي أمر يعم الزوجين وأسرتيهما؛ لأن كلاً منهما لا تقتصر علاقته على الطرف الآخر، وإنما تشمل أسرتيهما حيث يقيمان معهما علاقات خاصة تزيد من أواصر التعاون والتآزر في المجتمع الكبير[٢].

ولذلك جاء تعبير المودة أبعد عمقاً من علاقة السكينة، لأنها تتصل بمحبة الشيء وتمني كونه، وكأنها درجة أعلى من مراتب العلاقة الزوجية العاطفية بين الزوجين، وعلى هذه العلاقة أسس الإسلام علاقة الزوجية: حب متبادل بين الزوجين، وحب قائم على المودة والرحمة، ولذلك اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تكون الأزواج من نفس الجنس الإنساني؛ ليكون ذلك أدعى إلى تبادل مشاعر الحب[٣]، وليقدم كل منهما للآخر نفسه ووقته وكل ما يملك في سبيل راحته.

رابعاً: الرحمة بين الزوجين:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١].

---

(١) دعم دور الأسرة في مجتمع متغير، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعالمية، ص١٢١.
(٢) منهج السنة في الزواج/ محمد الأحمدي أبو النور، ص٦٢ ـ ٦٣.
(٣) دعم دور الأسرة في مجتمع متغير، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعالمية، ص١٢٠.

الرحمة: من الرحم، وهو في الأصل: موضع تكوين الولد والقرابة وأسبابها، والرحمة أيضاً: الرقة، والتعاطف، أي جعل بينكم تراحماً وتعاطفاً وحباً ينشأ بالزواج وينمو وتزداد تلك الأواصر والعلاقة ثبوتاً ورسوخاً بتلك البراعم التي تنشأ في ظل تلك الرعاية الحانية، فبالرحمة ينشأ التعاون بين الزوجين قلباً واحداً ويداً واحدةً على خير الأسرة وسعادتها.

وهكذا بالمودة والرحمة يتغلب الزوجان على الخلافات التي قد تنشأ بينهما من آن لآخر، وبالحفاظ على قدر من المعروف قد يكون بعد النفور إقبال وبعد الكره مودة، فتنشأ تلك البراعم نشأة سوية في أحضان دافئة بر وحب ومودة ورحمة وحنو، ثم لا تلبث تلك المشاعر أن تتسع وتمتد لتشمل مساحة أكبر من أقارب الزوجين إلى أقارب الأقارب إلى أن تغدو تلك المشاعر أساس التعامل في المجتمع الإنساني كله منبثقة من المجتمع الأسري(١).

---

(١) منهج السنة في الزواج/ محمد الأحمدي أبو النور، ص٦٤.

صورة مختصرة عن الزواج في الإسلام

إن المتتبع لآيات الزواج في القرآن الكريم يرى أنها وردت في أسلوب التوجيه للدلالة على عمق الصلة بين التوجيه والتشريع، فآية تبين أنه من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرّعد: ٣٨]، وأخرى تؤكد أنه من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]، وثالثة تذكره في معرض الامتنان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النّحل: ٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمات في هذا الموضوع.

لهذا فقد حددت الشريعة أصول الزواج ومقاصده، ورتبت الآثار على المقدمات؛ وذلك لتدوم العشرة على أساس سليم، ولتقوم الأسرة على منهاج يحفظها من التصدع والانهيار.

ومن تكرار الأسر يتكون المجتمع، ومن المجتمعات توجد الدنيا، والدنيا مزرعة الآخرة، بمعنى أن ما يزرعه الإنسان في الدنيا يحصده في الآخرة جزاءً وفاقاً.

ولو سرنا مع الزواج في تسلسل منطقي على مراحل لكان ما يلي:

١ ـ مرحلة الاختيار:

اختيار شريك الحياة، ورفيق الدرب مهم للغاية؛ ولذا فقد حث الإسلام

على حسن الاختيار وجعل الدين والخلق في أعلى الصفات المرغوبة، يقول الرسول ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»**[1].

ويقول أيضاً: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[2]، وتلك هي الخطوة الأولى على طريق الحياة الزوجية.

٢ ـ مرحلة الخطبة والنظر:

هي عبارة عن طلب الرجل المرأة للزواج، وقد شرعها الله تعالى؛ ليتعرف كل من الزوجين على الآخر؛ ولذا شرع فيها نظر الخاطب إلى مخطوبته، يقول ﷺ: **«انظر فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**[3]، بحيث تكون المرأة محلاً صالحاً للزواج، وأن لا يسبقه آخر لخطبتها إلا بعد أن يستأذنه، أو يترك الأول، أو كان جاهلاً، وأن لا تكون معتدة رجعية، أما المعتدة لوفاة أو المعتدة من طلاق بائن فيجوز التعريض بخطبتها دون التصريح.

قال تعالى لما ذكر المطلقات: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٥].

٣ ـ مرحلة الارتباط الفعلي عن طريق عقد الزواج:

كل عقد يشترط فيه عاقدان وصيغة ومعقود عليه...

فالعاقدان في الزواج: هما الزوج (أو من ينوب عنه) وولي الزوجة لأن المرأة لا يجوز أن تتولى مباشرة العقد.

والصيغة: هي الإيجاب والقبول، وفيهما يظهر بأوضح معانيه.

---

(١) جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، ج ٤، ص٢٠٥.

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ج ٩، ص١٣٢ وصحيح مسلم بشرح النووي، ج١٠، ص٥١.

(٣) جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، ج ٤، ص٢٠٦.

والمعقود عليه: هو حل الاستمتاع المشترك بين الزوجين.

وعقد الزواج في الإسلام لابد أن يكون عقد رغبة ودوام لا متعة وتحليل؛ ولهذا كان اشتراط التوقيت فيه باطلاً؛ وعلى ذلك فالمتعة حرام، والتحليل باطل.

وعند العقد لابد من وجود الولي ليباشر العقد نيابة عن المرأة؛ صيانة لها وحفاظاً لكرامتها، قال ﷺ: **«لا نكاح إلا بولي»**[1].

وكذلك لابد من حضور شاهدين على الإيجاب والقبول، لإثبات العقد، وتأكيده ضماناً للحقوق المترتبة عليه، **«لا نكاح إلا ببينة»**[2].

ومن الشروط الواجبة في الزواج: الكفاءة، لأن مصالح الزوجية، ودوام العشرة تتوقف على تقارب الزوجين في العقيدة والأخلاق والنسب وغير ذلك.

ومن سماحة الإسلام أنه أباح للزوجين الاشتراط، وقيد ذلك بأن لا يكون الشرط مخالفاً لمقتضى العقد، أو ورد نص ببطلانه، وما عدا ذلك فهو شرط صحيح ولازم يجب على الطرف الآخر الوفاء به، وإلا فسخ الزواج.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وقال ﷺ: **«إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج»**[3]، ولا بد في الزواج من المهر، وهو عطية لازمة ومفروضة يقدمها الزوج لزوجته رمز تقدير ومحبة.

قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النِّساء: ٤]. ويستحب عدم

---

(١) جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، ج٤، ص٢٢٧.

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص٢٣٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩، ص٢٠١.

المغالاة في المهر، قال ﷺ: **«التمس ولو خاتماً من حديد»**[1]، تشجيعاً لأمر الزواج، وتحذيراً من الآثار الاجتماعية الفاسدة المترتبة على المغالاة فيه.

وعقد الزواج في الإسلام يتم فور إتمام أركانه وشروطه، لكن يؤمر له بإعلان الفرح بالدفوف[2].

٤ ـ القوامة:

بعد انتقال الزوجين إلى بيت الزوجية جعل الإسلام القوامة في البيت من نصيب الرجل؛ لأنه أقدر على ذلك.

والقوامة في حقيقتها مسؤولية تكليف لا تشريف، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، إن قوله تعالى: «درجة» يقتضي بذلك أن يكون الرجل ـ في بيت الزوجية ـ هو رئيس البيت، والقيّم عليه، وعلى المرأة أن تتصرف بكامل حريتها في حدود الشرع مراعية طاعة زوجها في غير معصية الله؛ لأن الدرجة التي منحه الله إياها هي درجة الإشراف والرعاية، بحكم القدرة التي يمتاز بها الرجل على المرأة، وبحكم العمل من أجل تحصيل المال للإنفاق على الأسرة، وليست هذه الدرجة درجة تسلط وتحكم واستعباد وتسخير ولكنها درجة الرياسة البيتية الناشئة عن عقد الزوجية[3].

وفسر ابن عباس الدرجة بقوله: «الدرجة» إشارة إلى حض الرجال

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ج٩، ص٢٠٥، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩، ص٢١١.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، ج١، ص٦١١ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال»، قال الألباني في صحيح ابن ماجه، ج١، ص٣٢٠: «ضعيف دون السطر الأول فهو حسن».

(٣) تفسير القرطبي، ج٣، ص١٢٥.

على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، لأن الأفضل والأكمل ينبغي أن يتحامل على نفسه[1]، قال ابن عطية: وهو قول حسن بارع.

وقال ابن عباس أيضاً: «الدرجة التي ذكرها الله في هذا الموضع: الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغفاله لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النِّساء: ٣٤].

تلقي هذه الآية مهمة رئاسة الأسرة على عاتق الرجل، وتحمله مسؤولية انتظام أمور الأسرة، وجمع شملها، وحمايتها من الانهيار، وفي مقابل ذلك تعطيه حق الأمر والنهي بالمعروف والتأديب بالحسنى.

وقوامة الرجل على المرأة عامة في كل مجال؛ فعلى الرجل حماية المرأة والذود عنها، ولذلك فرض على الرجال الجهاد وحماية الثغور وحفظ الأمن في البلاد كما حيل بين المرأة وبين الحكم والقضاء وغيرها من الأمور الخاصة بالرجال.

ومجيء كلمة «قوامون» على صيغة المبالغة مفيدٌ شمول قوامة الرجل على المرأة لكل شأن من شئونها، شريطة ألا تسلبها قوامته أي حق من حقوقها التي خولها الله إياها، كحقها في الوفاء بالشروط الصحيحة في العقد، وحقها في العشرة بالمعروف، وحقها في النفقة، وحقها في التصرف بمالها ـ ما لم تكن ممن يحجر عليها لسفه ـ.

فإنَّ كون الشخص قيماً على الآخر، أي أنه يرعاه و يرشده ويراقبه ويلحظه في أعماله؛ فالمرأة تتصرف بإرادتها واختيارها في حدود الشرع والعرف وفي حدود طاعته في المعروف، وليس الأمر كما يفهمه بعض المسلمين حيث

---

(١) تفسير القرطبي، ج٣، ص١٢٥.

(٢) تفسير الطبري، ج٢، ص٢٧٥.

يسلبون المرأة إرادتها، ولا يتركون لها حرية الاختيار والتصرف فيما لها حق التصرف فيه إلا بعد أخذ التوجيهات والأوامر من الزوج فتشعر المرأة بأنها مقهورة في منزلها سجينة الرأي والإرادة بسلطان زوجها وجبروته.

ويبرز تطبيق القوامة في أن للرجل تأديب زوجه[١] إن نشزت عليه فعصته في فراشه، أو تركت الصلاة المفروضة، وإمساكها في بيته، ومنعها من الخروج لغير المساجد، وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم يكن معصية.

ولقد جاء تشريع القوامة في القرآن الكريم في صورة قرار مؤتلف مع طبيعة البشر وحاجاتهم، ولم يأت في صيغة أمر صريح، مع تضمنه معنى الوجوب واللزوم فإنه أمر في صورة الخبر، حتى لكأن الناس مجمعون على تلقي هذا القرار الإلهي بالقبول والتنفيذ[٢].

وتفضيل الرجال على النساء جاء من وجوه عدة: كون الولايات العامة مختصة بالرجال، والنبوة والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والجمع، وبما خصهم الله به من كمال العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء[٣].

أسباب القوامة:

فجعلت القوامة للرجال لما خصهم الله به من كمال العقل والرزانة والصبر والجلد إلى غير ذلك من الأسباب والعلل المحسوسة، أي أنه حق مقابل تكاليف وواجبات، ولعل أول تلك الأسباب ما يلي:

---

(١) إن نشزت عليه فعصته في فراشه أو أدخلت بيته من يكره أو خرجت بغير إذنه أو تركت فرائض الله أو لم تغتسل من جنابة أو رفضت تعلم القرآن كما فصله الفقهاء، انظر المغني (٨/ ١٣٦ ـ ١٦٥).

(٢) منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات للدكتورة/ نجبة غلام نبي، ص٨٢٣.

(٣) تفسير السعدي، ص١٤٢.

١ ـ وهبي فطري:

قال الله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّساء: ٣٤] الباء سببية، أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن، أو متلبسين بتفضيله تعالى... إلخ، ووضع بعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر، وعدم الحاجة إلى التصريح بالمفضل والمفضل عليه أصلاً[١].

ولمثل ذلك لم يصرح بمثابة التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل، وحسن التدبير، ورزانة الرأي، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية ووجوب الجهاد والجمعة.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى أن حكمته جل وعلا اقتضت أن تكون قوامة الرجال على النساء بسبب ما فضل الله به الرجال على النساء من قوة في الجسم، وزيادة في العلم، وقدرة على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها ومتطلباتها.

قال الفخر الرازي: واعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة بعضها صفات حقيقية وبعضها أحكام شرعية.

أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم وإلى القدرة.

ولا شك أن عقول أغلب الرجال وعلومهم أكثر، ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة والفروسية والرمي، وأن منهم الأنبياء والعلماء، وأن فيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والشهادة في الحدود والولاية في النكاح، فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء[٢].

(١) تفسير أبي السعود، ج١، ص١٧٣.

(٢) التفسير الكبير/ الفخر الرازي، ج١، ص٨٨.

والمراد بالتفضيل: تفضيل الجنس على الجنس، لا تفضيل الآحاد على الآحاد، فقد يوجد من النساء من هي أقوى عقلاً أو أكثر معرفة من بعض الرجال[1]، كما تفيد كلمة (بعض) أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد، وأنه لا غضاضة على الشخص في أن تكون يده اليمنى أفضل من اليسرى، وأن يكون العقل أفضل من البصر ما دام الخلق الإلهي اقتضى هذا، وكذلك اقتضت حكمة الله أن يكون الرجل هو الرئيس؛ لأنه قادر على توفير الحماية والكسب للأسرة، وبذلك يتيسر للمرأة القيام بوظيفتها الفطرية وهي آمنة في بيتها مكفية ما يهمها من أمر رزقها، فالرجل راع متخصص في القوامة بما فضله الله به من استعداد لتحمل مسؤولياتها والقيام بتكاليفها، والمرأة راعية متخصصة في الأمومة وإعداد البيت بما فضلها الله به من استعداد لتحمل هذه المسؤولية، وما يرتبط بها من تبعات[2].

قال القرطبي: إن الرجال لهم فضيلة في زيادة العقل والتدبير؛ فجعل لهم حق القيام عليهن لذلك، وقيل: للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء؛ لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة فيكون فيه معنى اللين والضعف فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك[3].

٢ ـ كسبي مادي:

ولقد بين الله تعالى هذا السبب في قوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] أي أنه سبحانه وتعالى جعل قوامة الرجال على النساء أيضاً؛ بسبب ما ألزم به الرجال من إنفاق على النساء، ومن تقديم المهور لهن عند الزواج بهن، ومن القيام بكافة الأعباء المالية للأسرة[4].

---

(١) رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية/ إيناس إبراهيم، ص٥١.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة/ محمود شلتوت، ص١٥٧، الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة/ عمارة نجيب، ص١٨٥.

(٣) تفسير القرطبي، ج٥، ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٤) تفسير القرطبي، ج٥، ص١٦٨ ـ ١٦٩.

لذلك فالرجل مطالب شرعاً وعرفاً بالإنفاق على زوجه وولده ومن تجب عليه نفقته[١].

ولقد أدار القرآن الكريم الحديث عن القوامة في أسلوب منطقي مقنع يحمل أولي الألباب على التسليم بها والإقرار بميزانها، ويدعو النساء بخاصة إلى الاعتراف بأنها غنم لهن قبل أن تكون غرماً عليهن وكسب يسرُّهنّ لا ضار يضرهن[٢].

فالقوامة إذن مسؤولية وتكاليف وإلزام بالعمل والعرق والكفاح والنزول إلى ساحة الشقاء تناط بالرجل، ويلزم بذلك له ما يستحق من فضل فُضل به من الله، وهو استعداد يجب أن يمتاز به للنهوض بأعباء الحياة الاجتماعية ومطالب الأسرة عيالة وقيادة وتوجيهاً، فما الذين فضلوا بغنى عن هذا الفضل، ولا المفضلين بغنى عن التسليم بحاجة البيت إلى مسؤول وقائد فضل بكفاءات هذه المسؤولية وهذه القيادة، فإن كل شركة وكل إدارة تحتاج إلى مسئول له صلاحيات الرئاسة والقيادة والتوجيه، وليست المرأة هذا المسئول بحكم عجزها الطبيعي عن الاستمرار في تحمل هذه المسئولية، ولا الحياة الاجتماعية بغنىً عن هذا التقسيم الطبيعي لتحقيق التعاون بين الجميع، ولإنجاح العلاقات الزوجية[٣]، ولن يتحقق هذا إلا بسيادة روح المحبة والمودة بينهما، وكل حق لأحدهما على الآخر يقابله واجب يؤديه إليه، ولكي تستقيم العلاقة بين الزوجين فإن الإسلام قد أمر بحسن معاشرة النساء مع طيب النفس والإرفاق.

وقد أوصى الرسول ﷺ بالنساء خيراً؛ فقد روي عن شعيب بن غرقدة البارقي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال: **«استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان[٤]، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة؛ فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع،**

---

(١) تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٩١.
(٢) طبيعة المرأة في الكتاب والسنة/ عبد المنعم سيد حسن، ص١٦١.
(٣) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة/ عمارة نجيب، ص١٨٤.
(٤) جمع عاني وهو الأسير. انظر النهاية (٣٠٠ ـ ٣١٤).

واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. إن لكم من نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[1].

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**»[3].

ومقابل أمر الرجل بحسن العشرة والإنفاق، ولكونه منح القوامة والرياسة فإن ذلك أوجب على المرأة الطاعة والسهر على راحة الزوج والأولاد.

فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[4]، وقال ﷺ: «**كل نفس من بني آدم سيد، فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها**»[5].

وحين يؤدي كلا الزوجين حق الآخر عليه ملتزماً بالضوابط التي وضعها الشرع، تشيع المحبة، وتدوم الألفة في جو من الاحترام والتقدير، فينشأ الطفل في أحضان أسرة تحيطه بالرعاية والاهتمام، فتكون له حصناً منيعاً يحمي الطفل ويأخذ بيده ويهيء له جواً مفعماً بالأمن والحب، فينشأ خالياً من العقد، متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع، مقدراً لذاته، مدركاً لها، مؤدياً لحقوق والديه، مطيعاً لهما، محباً لربه وللرسول ﷺ، حريصاً على أداء العبادات التي كلف بها. وفي هذه الأجواء المستقرة تتفتح البراعم الناشئة حتى تبلغ أشدها.

---

(١) سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٩٤ حديث رقم (١٨٥١).
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣١٤).
(٣) صحيح مسلم، ج٣، ص٣٤.
(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٢٣٩).
(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٥٦٥).

أهمية الزواج

الأسرة مجتمع صغير، وإحدى دعائم المجتمع الأكبر، وما الأمة إلا مجموعة من الأسر تترابط فيما بينها بمبادئ وقوانين وأعراف وتقاليد تتفاوت قيمتها وآثارها بين الأمم تبعاً لتفاوتها في درجات الحضارة والبداوة والتطور والجمود؛ فإذا كان الأساس قوياً سليماً ساعد ذلك على تماسك البناء وصلاحيته للبقاء، وكذلك الأسرة إذا شيدت دعائمها على أسس قوية متينة أسهم ذلك في تشييد مجتمعٍ قويٍ متماسك البنيان.

ولما كانت الأسرة دعامة المجتمع فإن الزواج عماد الأسرة، وبه تنشأ وتتكون بالتقاء الزوجين، فيجد كل منهما لدى الآخر السكن والاطمئنان والاستقرار والراحة وفي هذه الأجواء الآمنة المستقرة تتفتح براعم جديدة بنين وبنات، فتنشأ وتتطور وتنمو وتتدرج في نموها من المهد إلى مجتمع الأسرة إلى المجتمع الكبير بأسره، تستظل بظلال دوحة الإيمان الباسقة، ومن غذائها الروحي والمادي تنمو وتتهذب، ومن هذه البراعم الناشئة تتفرع أواصر القرابة والرحم وتمتد هنا وهناك؛ لتظلل برواقها مجتمعاً فسيح الجوانب متشابك المصالح.

ومن هنا تبدو لنا أهمية الزواج في تكوين الأسرة، والتي تمثل بدورها أهمية كبرى في تكوين المجتمعات والأمم.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النِّساء: ١].

دور المجتمع في حياة الأسرة

لما كانت الأسرة هي الدعامة الأساسية في تكوين وبناء المجتمع، فإن ذلك يؤكد دورها البارز في حياة المجتمع؛ ولهذا فإن هناك عملية تفاعل وتبادل بينهما وعطاء متواصل، ومن هذا المنطلق كان للمجتمع دوره في تكوين الأسرة فهو الذي يدعم نظام علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية، وهو في ذلك لا يألوا جهداً في اختيار أفضل الوسائل والطرق التي تعينها على تحقيق مهمتها، فيوطء لها أكناف الأمن والاستقرار والسعادة في معيشتها.

وكذلك حظيت الأسرة بعناية واهتمام الشرائع الإلهية ونظم المجتمع قديماً، فحفلت شرائع الأنبياء وآداب الحكماء بنصيب كبير عنها، وتسابق الفلاسفة إلى وضع النظريات، وعكف علماء النفس على وضع تحليلات لها، كما وضع خبراء القانون والاقتصاد والفقه والاجتماع تنظيمات لها، ولذلك حظي الزواج بعناية هؤلاء جميعاً، كيف لا؟ وهو نواة الأسرة، ومنه تنبثق، وتتفتح البراعم الناشئة، فهو أمر فطري أوجده الله جلت قدرته وعظمته في جميع المخلوقات، ليكون سبباً للتكاثر والتوالد.

يقول تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦].

ولقد كرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان على سائر المخلوقات حين وضع له تنظيماً سامياً راقياً يكفل نسب الأبناء بحيث يتكافأ ذلك مع مكانة الإنسان، فتنشأ البراعم الصغيرة في أحضان الأسرة، فتنعم برغد العيش والاستقرار، وتنال من العناية والتربية والتوجيه ما لم يمكن أن يكون لدى الحيوان الذي يقوم حياته على الفوضى والشيوع، يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النحل: ٧٢].

ميلاد المملكة العربية السعودية
معجزة فوق الرمال

المملكة العربية السعودية:

لم تكن نجد تخضع للتقسيمات الإدارية التابعة للدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى، وظلت على هذا الحال حتى أوائل القرن التاسع الهجري، وكانت نجد مقسمة في تلك الآونة إلى إمارات صغيرة يغلب عليها النزاع والفرقة والخلاف، وكانت القبيلة أساس الوحدة الاجتماعية، ولكل قبيلة شيخها، وينقسم أفراد القبيلة إلى البدو الرحل والحضر والمستقرين، وكان يسودها الجهل والضلال والبدع والشركيات.

أما مدينة الرياض فقد كانت مسرحاً لحروب طاحنة بينها وبين الدرعية استمرت سبعة وعشرون عاماً وانتهت بمقتل أمير منطقة الرياض، وأصبحت آنذاك مقراً لحكم آل سعود إلا أنه تخلل تاريخها عدد من الحوادث التاريخية التي أدت إلى سقوط الدولة السعودية الأولى سنة (١٨١٨م ـ ١٢٣٣هـ)، وعودة الحكم مرة أخرى سنة (١٨٢٠م ـ ١٢٣٦هـ) ثم سقوطها مرة ثانية سنة (١٨٩٠مـ ١٣٠٨هـ) على يد ابن الرشيد في موقعة «المليدا» وخروج عبدالرحمن بن سعود وعائلته من الرياض إلى الكويت، وفي عام (١٩٠١م ـ ١٣١٩هـ) تم استعادة مدينة الرياض على يد الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن، حيث بدأ من ذلك التاريخ عهد قيام الدولة السعودية الثالثة بعد أن أصبحت مدينة الرياض منطلقاً لجيوش عبدالعزيز في توحيد منطقة نجد

أولاً ثم إقليم الأحساء بالمنطقة الشرقية باعتبارها ضرورة حيوية كمنفذ بحري هام، مما دعا الدولة العثمانية إلى الاعتراف بعبد العزيز سلطاناً على نجد والأحساء ومنحته رتبة الباشوية وأقرته حاكماً على نجد وملحقاتها بعد أن تم إخضاع منطقة الحجاز لحكمه.

ومن أهم المشاكل السياسية التي واجهها عبدالعزيز هي «حياة البداوة» التي كانت سائدة في معظم مناطق الجزيرة العربية؛ لذلك كانت من أهم الأمور التي حظيت باهتمامه هي عملية «توطين البدو» فيما يسمى (الهِجَر)، فضلاً عن ذلك فقد سعى إلى إنشاء قوة عسكرية لحماية الدولة عن طريق إقامة نظام عسكري يتفق وطبيعة «الهجر» ويعرف في الوقت الحالي «بالحرس الوطني السعودي»[(١)].

ولقد أدى اتساع المناطق الصحراوية وقلة المياه إلى قلة الموارد الاقتصادية في المملكة حيث كانت تعتمد على الرعي والزراعة في بعض الواحات، بالإضافة إلى النشاط التجاري والذي كان متمركزاً في منطقة الحجاز «المنطقة الغربية» وخاصة في مواسم الحج، وكذلك «المنطقة الشرقية» عن طريق الخليج العربي وعلاقتها التجارية بجنوب شرق آسيا كالهند وباكستان.

ولقد كان للخطوات الأولى التي خطاها الملك عبدالعزيز عام (١٣١٩هـ) بالسيطرة على الرياض وإعلان الدولة السعودية الأثر القوي في إنشاء ما عرف باسم المملكة العربية السعودية فيما بعد، وإن كانت هذه الخطوة لم تستكمل إلا بعد ذلك بإحدى وثلاثين سنة قضاها بطل الجزيرة العربية في حروب متلاحقة حتى استطاع أن يوحد شتات شبه الجزيرة العربية.

وإذا ما عدنا إلى الموارد التي اعتمد عليها مؤسس المملكة العربية السعودية منذ انطلاقته الأولى حتى تتويج هامته بالنصر وجدنا أن عملية

---

(١) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين/ محمد أحمد درويش، ص١٢ ـ ٣٠.

تمويل الحملات التي قادها تشكل في حد ذاتها معجزة لأن المناطق العربية التي حررها ووحدها كانت في حالة فقر مدقع تحتاج إلى كل شيء، وحتى الموارد القليلة التي يدرها الحج سنوياً على خزينة الدولة لم يكن لها وجود قبل توحيد مقاطعة الحجاز مع بقية أجزاء المملكة العربية السعودية، ولم يأت هذا التوحيد إلا بعد ربع قرن من الخطوة الأولى التي خطاها الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في بناء الدولة الجديدة فلقد تم الإعلان رسمياً عن قيام المملكة العربية السعودية في ١٨ أيلول ١٩٣٢م (٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ)، وكانت أول ميزانية وضعت في تاريخ المملكة العربية السعودية بعد سنتين من إعلان قيام الدولة ولم يتجاوز مجموع أرقامها أحد عشر مليون ريال سعودي.

وبعد مرور ٣٣ عاماً على صدور أول ميزانية نجد أن ميزانية الدولة بلغت ثلاثة مليارات ومائة واثني عشر مليون ريال خصص منها لمشاريع التنمية أكثر من مليار ريال، أي أن الميزانية تضاعفت خلال تلك الأعوام ٢٨٢مرة، ولعل الفضل ـ بعد الله تعالى ثم جهود الملك عبدالعزيز ـ يعود إلى اكتشاف ذلك السائل الأسود الثمين الذي عوضها الله به في النهاية عن الحرمان الذي ابتليت به تعويضاً طيباً كريماً[1].

ولذلك تحول المجتمع السعودي من مجتمع رعوي إلى مجتمع نفطي ومع مداخيل النفط الهائلة توسعت المملكة في مجال الإنفاق سواء على مستوى المشاريع والدولة أو على مستوى الأفراد، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع الدخل القومي بارتفاع مداخيلها من الزيت، ففي عام ١٩٥٣م قدر دخل الفرد السنوي بحوالي ١٠٠ دولار مقابل ٤٠ دولاراً لعام ١٩٤٩م، ورغم أنه لا توجد إحصاءات للدخل الأهلي في المملكة العربية السعودية فمن المعتقد أن دخل الفرد كان في نمو[2]، حيث بلغ عام (١٩٦٢م ـ ١٩٦٣م) (١٣٨٢هـ ـ ١٣٨٣هـ) إلى حوالي ١٣٠ دولاراً سنوياً أي ما يعادل ٥٢٥ ريالاً، وقد

---

(١) معجزة فوق الرمال/ أحمد عسه، ص٣٥٦ ـ ٣٥٩.

(٢) استراتيجيات التنمية والبترول/ عبد الهادي طاهر، ص٧٥.

وضع ارتفاع الدخل القومي للفرد المملكة العربية السعودية في المرتبة الثانية من حيث ارتفاع دخل الفرد بعد الكويت(١).

البناء الديمجرافي للمجتمع السعودي (توزيع السكان على المساحة):

إن تناول دور المرأة في الحفاظ على كيان الأسرة في المجتمع السعودي يحتم علينا تناول البناء الديمغرافي لذلك المجتمع، وذلك لأننا لا نتناول شريحة من شرائح هذا البناء فقط ولكن نتناول المرأة التي تسهم في عملية بناء الأسرة، وهذا ما جعل للتحليل السكاني أهمية في هذه الدراسة.

إن حجم السكان وتوزيعهم على المستويات الثقافية حضر ـ وريف ـ وبادية يحدد إلى حد كبير معدلات الزيادة في السكان وكثافتهم من حيث التوزيع على مساحة القطر، فلقد بلغ الحجم الفعلي للسكان حسب تعداد ١٣٩٤هـ (٧,١٢٦٤٢ نسمة)، وهذا العدد من السكان موزع على مساحة المجتمع العربي السعودي والتي تبلغ (٢,١٥٩,٨٢٩كم) تقريباً، وبحساب الكثافة السكانية وجد أنها لا تزيد عن ٣,٢٤ نسمة في الكيلومتر المربع وهي كثافة منخفضة إلى حد كبير ويرجع ذلك لاتساع مساحة الدولة السعودية وعدد السكان المحدود.

وطبقاً لتعداد عام ١٣٩٤ ـ يتضح أن حجم الإناث من السكان يبلغ ٣٦٨٢٠١ في حين حجم الذكور في حدود ٣٢٥٦٩٤٠ وبذلك يكون هناك زيادة محدودة في نسبة الإناث عن الذكور، كما أن نسبة إجمالي الأطفال إلى السكان تبلغ ٤٥٪ وهي نسبة عالية(٢).

---

(١) معجزة فوق الرمال/ أحمد عسه، ص٣٧١.

(٢) دراسات في المجتمع السعودي/ السيد علي شتا، ص١٣ ـ ١٥.

دور المرأة السعودية في الحفاظ على كيان الأسرة خلال القرن الماضي

الخصائص الاجتماعية للمجتمع السعودي:

من المسلمات المتفق عليها أنه لفهم أوضاع اجتماعية متعلقة بنشاط فئة يجب أن تُدرس في إطار الثقافة التي تعيشها هذه الفئة في فترة زمنية من التاريخ، ولذلك قامت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية[١] والسوسيولوجية[٢] في المملكة العربية السعودية لتحديد أهم خصائص المجتمع السعودي نوردها على النحو الآتي:

أولاً: النسق القرابي:

إن للقرابة أهمية كبرى في حياة كل فرد، وينتظم النسق القرابي في المجتمع السعودي في مستويات متتالية تبدأ من الأسرة النووية فالأسرة الممتدة فالحمولة كالفخذ فالبطن فالعشيرة فالقبيلة، وتحتل القبيلة رأس التنظيم الهرمي للنسق القرابي في هذا المجتمع، إلا أن نطاق القرابة الذي يتفاعل معه الأفراد في المجتمع السعودي يتباين حسب عوامل عديدة من

---

(١) علم نشوء الإنسان.

(٢) علم الاجتماع.

أهمها الوضع الأيكولوجي للأسرة (بدو، ريف، حضر)[1].

فضلاً عن ذلك فإن هناك العديد من العوامل تساهم في تشكيل وتحديد هذا النسق من أهمها:

أ ـ الشريعة الإسلامية التي يدين بها أفراد المجتمع السعودي والتي لها النصيب الأكبر في تحديد كثير من الأمور المتعلقة بالنسق القرابي.

ب ـ العادات والتقاليد السائدة في المجتمع السعودي والتي تعمل على تحديد كثير من القيم التي تحكم سلوك الأفراد.

ج ـ النظام القبلي السائد في المجتمع السعودي والذي يفرض كثيراً من العلاقات بين الأفراد خاصة في الأمور المتعلقة بالزواج والمصاهرة.

إن الحديث عن النسق القرابي في المجتمع السعودي يشير إلى أن هناك الكثير من الفروق في بعض مظاهر العادات والقيم الأسرية والتي تعود إلى اختلاف البيئة الطبيعية ودرجة الاحتكاك بالمناطق الحضارية المختلفة[2] إلا أنه بالرغم من هذا فإن الأسرة تعد أهم نظام في المجتمع السعودي، فهي الوحدة المحورية التي تنطلق منها كافة التنظيمات الاجتماعية والثقافية في المجتمع، فالأب هو راعي الأسرة الذي أسندت إليه الشريعة الإسلامية حق القوامة على المرأة ورعاية الأسرة، يقول عليه الصلاة والسلام: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**.

ورغم التحديث الحضاري المعاصر للمجتمع السعودي إلا أنه مازالت تقاليد الأسرة تشكل مساراً أصيلاً للعلاقات الاجتماعية والأنشطة والأدوار المختلفة لأفرادها، بل إن الأسرة كمفهوم عام مازالت تطلق على ما يسمى بالعائلة الممتدة (Extend family) التي تجمع الوالدين والأبناء والأعمام والأجداد والأحفاد ليمثلوا جميعاً وحدة العشيرة التقليدية، فهي أسرة قد

(١) دور الأسرة السعودية في نقل القيم الاجتماعية القرابية/ الجوهرة عبد المحسن الخلف، رسالة ماجستير غير منشورة.

(٢) التغيير الاجتماعي ودور المرأة في المجتمع السعودي/ مها العيدان، ص٤٢.

تضم بينها ثلاثة أجيال متعاقبة أو أكثر، كما تتميز بأنها الركيزة الرئيسية للمصاهرة والنسب والقرابة والعزوة (Kingship) اتفاقاً مع الشريعة الإسلامية التي تحدد صلة الرحم والروابط الأسرية والتكافل القرابي.

ويذهب جورج ليبسكي (George lipsky) إلى القول بأن التحديث المعاصر لم يؤثر في المعتقدات الدينية والعرفية والعقيدة التي رسخت في المجتمع السعودي المسلم[١].

ثانياً: المشاركة الجماعية في قرارات الأسرة وتوجيهاتها:.

وكان ذلك ناجماً عن الوعي الذي ساد أفراد الأسرة وانتشار التعليم بين الذكور والإناث.

١ ـ توفر فرص العمل ساعد الأبناء على الاستقلال اقتصادياً وانفصالهم عن أسرهم فتزايد نتيجة لذلك ظهور الأسر النووية.

٢ ـ تعدد وانتشار وسائل الاتصال، وكثرة الأسفار فضلاً عن استقدام أعداد كبيرة من العمالة الأجنبية ترتب عليه دخول قيم جديدة نتيجة للتغيرات الاجتماعية المتلاحقة.

٣ ـ ظهور مشكلات جديدة غير مألوفة في المجتمع السعودي وظهور بعض حالات العنف والانحرافات السلوكية لدى الشباب[٢].

٤ ـ الاتجاه إلى تعليم الفتاة ومشاركة المرأة في العمل ترتب عليه تغيرات متعددة في السلوك الاجتماعي ووظيفة الأسرة مع الاستعانة بالخدم[٣].

٥ ـ لم يقتصر التحديث في المملكة على المدن فحسب بل تعداه إلى المناطق المنعزلة التي حدث بها تغيرات اجتماعية وتغيرات في الاتجاهات الاجتماعية والثقافات الفرعية بل إن هذه المجتمعات المحلية لم تنغلق على

---

(١) العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة السعودية المتعلمة في التنمية/ سهيلة محسن الإبراهيم، ص١٢٦.

(٢) العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة السعودية المتعلمة في التنمية/ سهيلة محسن الإبراهيم، ص١٢٦.

(٣) اتجاهات المرأة السعودية نحو العمل المنزلي/ ابتسام عبد الله الزوم، ص٧٦.

ذاتها بل حدث اتصال حضاري بينها وبين المدن الرئيسية، خاصة بعد إنشاء نظام الهجر لتوطين القبائل البدوية بعد إعلان الدولة السعودية بقليل.

٦ ـ أدت هذه التغيرات إلى ارتفاع دخول الأفراد مما أدى إلى تغير ملحوظ في أنماط الاستهلاك والمظاهر المرتبطة بالعادات الاجتماعية والاحتفالات والتغير في مظاهر السلوك الاقتصادي لدى الأفراد، فارتفعت القدرة الشرائية، وازداد الإقبال على الكماليات والسلع المرفهة وغيرها من مظاهر الترف التي أصبحت يوماً بعد آخر تمثل ضروريات أساسية لكل أسرة إضافة إلى أمور أخرى كارتفاع تكاليف الزواج وغلاء المهور...... وغيرها[١].

وفي ظل تلك المستجدات الحادثة في المجتمع السعودي والشاملة لكل مجالات الحياة تغيرت الأسرة السعودية وتغيرت القيم الاجتماعية السائدة، فقد أشارت نتائج كثير من الدراسات الاجتماعية الأمبريقية[٢] في المجتمع السعودي منها على سبيل المثال (نورة العيدان ١٤٠٥، مها العيدان ١٤٠٥، خاطر ١٤٠٥، المسلم ١٤٠٥، الشهري ١٤٠٦، الصويغ ١٩٨٥، العمير ١٤٠٦، خليفة ١٤٠٧، الصديقي ١٤٠٨)، إلى حدوث تغيرات في جوانب كثيرة في الأسرة والقيم في المجتمع السعودي في السنوات الأخيرة، ومع ذلك فإن تلك النتائج لا ينبغي أن تقودنا إلى توقع حدوث تغيرات جذرية في الأسرة السعودية خاصة في مجال نقل القيم.

ويرى العثيمين (١٩٨٠) أن الأسرة السعودية ما زالت تحقق التكافل الاجتماعي لأعضائها وتوفر الأمن في مواجهة كافة مشكلات الحياة.

يؤيد ذلك الشهري (١٤٠٦) الذي يرى أنه رغم التغيرات الكثيرة التي صاحبت مراحل النمو المختلفة في المملكة العربية السعودية فإن الأسرة السعودية ظلت محافظة على أوضاعها ومركزها وأهميتها في المجتمع،

(١) العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة السعودية المتعلمة في التنمية/ سهيلة محسن الإبراهيم، ص١٢٧.

(٢) عملي ـ تجريبي.

ولا يعني ذلك عدم تجاوبها مع التغيرات وإنما يعني أنها لم تفقد ملامحها الأساسية المميزة خلال مسايرتها لمراحل النمو المتعاقبة.

ومجمل القول: إن الدراسات تؤكد حدوث تغيرات في الأسرة السعودية من جهة ولكنها تؤكد استمرار الملامح الأساسية لها من جهة أخرى(١).

إن التغيير السريع والملحوظ الذي طرأ على الأسرة السعودية وما ترتب عليه من تفكك الأسرة الممتدة إلى تغييرات بدرجة ما في الأدوار التقليدية لكل من الرجل والمرأة، وأصبحت الأسرة النووية المكونة من أب وأم وأطفال تمثل نمط الحياة الحضرية، حيث أشارت دراسة فادية الجولاني إلى نسبة الأسرة النواة (٧١,١٪) يلي ذلك الأسرة الممتدة حيث بلغت نسبتها (١٩,٦٪)، ثم الأسرة متعددة الزوجات والأبناء والتي بلغت نسبتها (٣,٤٪)، وأخيراً الأسرة التي يعيش فيها الأبناء مع الأم المطلقة فنسبتها (٥,٤٪)، وقد أوضحت الدراسة أن الأنماط الأربعة للأسرة توجد على مستوى الحضر والريف بنسب متفاوتة، حيث توجد الأسرة الممتدة بنسبة (٣٣,٥٪) في المدينة مقابل (١١,٨٪) في القرية، والأسرة النواة بنسبة (٦٩,٩٪) في المدينة يقابلها (٧٣,٥٪) في القرية(٢).

ونتيجة لزيادة حجم الأسرة النووية فقد اتجه المواطن السعودي إلى تغيير نظام المعيشة من البيوت التقليدية إلى نظام المعيشة في شقق، ونتيجة لذلك التغير الذي طرأ على المجتمع السعودي كانت له نتائجه الإيجابية حيث تحسنت النوعية الكلية لحياة المرأة، وتحسنت وسائل الرعاية الصحية، وأدى انتشار الوفرة الاقتصادية ـ بالنسبة لكثير من الناس ـ إلى مستوى معيشي مادي لم يسبق له مثيل في التاريخ. كما ساد المجتمع التوكيد على المعيار النفسي في اختيار الشريك(٣).

وبالرغم من هذه النتائج الإيجابية لما حدث من تغيير إلا أن النتائج

---

(١) دور الأسرة السعودية في نقل القيم الاجتماعية القرابية/ الجوهرة عبد المحسن الإبراهيم، رسالة مكملة لدرجة الماجستير جامعة الملك سعود بالرياض.

(٢) دراسات حول الأسرة العربية/ فاديا عمر الجولاني، ص٢٢.

(٣) دعم دور الأسرة/ المكتب التنفيذي، ص٢٠٧.

السلبية هي بالفعل عميقة التأثير حيث ظهر هذا التأثير السلبي أكثر ما ظهر في الجوانب التالية:

أولاً: على الأطفال بصفة خاصة إذ تشير الشواهد إلى أن نوعية الحياة التي يعيشها الأطفال قد ساءت، وذلك **لفقد الأسرة أهم وظائفها النفسية والتربوية** ـ بسبب انشغال الأبوين خارج المنزل ـ وهي المهمة الوحيدة التي لا يمكن أن تنوب فيها أي مؤسسة أخرى عن الأسرة.

ثانياً: انحسار دور الرجل ومزاحمة المرأة له في بعض الجوانب:

فالزوج هو المكلف بالإنفاق على الأسرة بغض النظر عن ثروة الزوجة إلا أن يكون هناك اتفاق على غير ذلك، وقد فقد الرجل هذا الدور نتيجة لمشاركة المرأة له في تحمل أعباء الأسرة المادية، وظهرت الندية بين الزوجين رغم أن الشريعة الإسلامية قد حددت لكلا الزوجين دوره، يقول تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النِّساء: ٣٤].

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»** وبذلك تصبح الأسرة مجرد أفراد كل منهم يعمل لمصلحته ويتعامل مع أفراد الأسرة على هذا الأساس، ومن هنا تصبح الأسرة مجرد مظلة لأفراد مجتمعين لسبب أو لآخر.

يقول بروفيسور هيلي ١٩٨٢م: (إن جعل المرأة في موقف مساوٍ للرجل فيه مشكلة، هي أنه من الحمق أن يتساويا، إن ذلك مثل أن يكون هناك قائدان لشعبٍ واحد).

ثالثاً: فقدان الأب والأم لدورهما في الأسرة:

انتقال قيادة الأسرة في كثير من الأسر من الأب والأم لأولادهما جعل الأبناء يسيرون أمور الأسرة وقيامهم بتصرفات فردية يحكمها التسرع والبعد عن التقاليد والمصلحة الجماعية للأسرة من سفر للخارج، سهر داخل وخارج البيت مع الزملاء، والضغط على الوالدين في استقدام الخدم والسائقين، وشراء الأجهزة المختلفة من فيديو وآلات التصوير المختلفة و(الفضائيات) في الوقت الراهن وما تبثه من أفلام ساقطة هدامة لكل المبادىء والقيم الإسلامية.

رابعاً: استقلالية الأبناء والانفراد بآرائهم دون أخذ مشورة الآباء:

فالابن يقرر الزواج ممن يشاء ووقت ما يشاء، وكذلك البنت تصر على رأيها في مواصلة الدراسة، وقد تفوت على نفسها فرصة الزواج الأمر الذي ترتب عليه ارتفاع نسبة العنوسة، وبذلك يفقد الآباء أدوارهم مع الأبناء، وقد يكون ذلك راجعاً إلى جهلهم بالطرق المناسبة للتعامل مع المشاكل المختلفة للأبناء والبنات، أو لظروف تحول بينهم وبين تأدية هذه الأدوار مثل الشقاق بين الزوجين أو انشغال الأب أو الأم أو كليهما بعمل وظيفي أو تجاري[1].

خامساً: سلب مؤسسات أخرى وظائف الأسرة:

إن خروج المرأة للعمل جعلها تلحق أبناءها برياض الأطفال، أو أن تستعين بخادمة تتولى أمر رعاية الأبناء حتى أن البعض بالغ في ذلك، وتنازلت الأم عن دورها كأم فجعلت لكل طفل مربيته الخاصة، وقد يمضي اليوم بكامله دون أن ترى أبناءها، أو تراهم لفترة وجيزة تغادر بعدها المنزل ولا تعود إليه إلا وقد استغرق الجميع في النوم.

سادساً: اكتساب عادات غذائية غير سليمة:

أدى انتشار المطاعم المتعددة والمتنوعة التي تقدم الوجبات السريعة إلى إقبال الأبناء على تلك المطاعم بشراهة فترتب على ذلك انتشار السمنة وسوء التغذية، وتناست الأسرة ما لهذه الأطعمة من سلبيات من حيث انخفاض القيمة الغذائية متجاهلة خطورتها، وبذلك فقدت الأسرة رافداً من روافدها في تقديم وسائل الصحة النفسية والجسمية للأبناء، والذي يتولد من اجتماع جميع أفراد الأسرة حول مائدة الطعام يتبادلون الأحاديث والتوجيهات التربوية التي يوجهها الآباء وتتخلل أحاديثهما التي لها أكبر الأثر على سلوكهم.

سابعاً: عدم المحافظة على مقتنيات الدولة (سوء استخدام الخدمات):

ويتجلى ذلك في عدم المحافظة على نظافة الشوارع، والعبث بالهواتف

---

(١) الأسرة وكيفية دراستها وحل مشاكلها/ سعيد بن علي بن مانع، ص٩٠ ـ ٩٤.

وتخريبها، وإلقاء مخلفات الطعام في الحدائق العامة، وفي أفنية المدارس والجامعات، رغم وجود أماكن خاصة للنفايات.

ثامناً: تفاقم السلوك الاستهلاكي:

إن تفاقم السلوك الاستهلاكي أدى إلى عدم التمييز بين الضروريات والكماليات مع الجهل بالسلعة من حيث القيمة والجودة، وقد ترتب على ذلك عدم اتباع سلوك اقتصادي استهلاكي متوازن وسليم، مع الجهل بأهمية الادخار، وتنظيم ميزانية للأسرة تنظيماً سليماً.

تاسعاً: طغيان حب المظاهر والتكلف في الترف والتوسع في الترفيه، ومنه السفر دون ضوابط شرعية.

عاشراً: شيوع الاستجابات السريعة لخطوط الموضة والتقليعات المختلفة نتيجة التأثر بالإعلام المقروء والمسموع والمرئي.

أحد عشر: ظهور قيم ومبادئ وأعراف جديدة مبنية على النتيجتين السابقتين.

المرأة السعودية
سماتها العامة وأدوارها الاجتماعية

من خلال الإحصاءات التي أجريت على المجتمع السعودي تبين أن المرأة السعودية تمثل حوالي (٤٨,٨٪) من أفراد المجتمع السعودي وأن نسبة (٦٠,١٪) منهن متزوجات، كما تقدر نسبة من تقع أعمارهن فوق الستين (٧,٨٪) فيما لا تتجاوز العاملات منهن (٥,١٪) فقط، وأن (٥٣,٦٪) من أولئك يعملن في الزراعة و(٤٢,٦٪) يعملن في قطاع الخدمات، كما أنه من الخصائص الديموغرافية للمرأة السعودية أن لكل ألف منهن (من سن ١٥ ـ ٤٥) ٩٧٤ طفل عمره أقل من خمس سنوات، إلى جانب ذلك فإن سمات المرأة السعودية هي سمات المرأة العربية القبلية ذات الأصول البدوية والمتمسكة بالتقاليد الإسلامية التي تتسم بالالتزام (Complianoe) والذكاء والصبر والإيمان بالقضاء والقدر والحياء.

ومن خلال تحليل الدراسات السوسيولوجية[(١)] والأنثربولوجية[(٢)] التي أجريت على المجتمع السعودي أمكن التوصل إلى أن المرأة السعودية حالياً تعيش مرحلة انتقالية بين الطبقة البدوية والطبقة الحضرية، وترتبط بثنائية الأصالة والمعاصرة، فجذورها السلوكية والقيمية تنبثق من عقيدتها التي تدين

(١) علم الاجتماع.

(٢) علم نشوء الإنسان.

بها ومن المناخ القبلي والبدوي الذي انحدرت منه، بينما آمالها وطموحاتها يغلفها بريق المدنية المعاصرة.

وتؤكد دراسة حمد البعادي على أن المرأة البدوية والريفية بل والتي ارتبطت بالحضر قبل عصر البترول كانت تمثل محور الحياة الاجتماعية داخل الأسرة، ولها سلطة في اتخاذ القرارات حول النسب والمصاهرة وتوزيع الأدوار، والمساهمة الإيجابية في كل ما يهم شئون الأسرة أو العشيرة أو القبيلة.

وتؤكد ثريا التركي في دراستها التي أجريت في مدينة جدة على أنه بالرغم من أن السمة العامة في الحياة الاجتماعية هي فصل الرجال عن النساء، ولكل دوره، وأن الرجل هو سيد البيت، إلا أن بوادر للتغيير بدأت تظهر مثل تعاون الزوجين في القرارات الأسرية.

كما أسفرت دراسة مي السالم عن أنماط الشخصية للمرأة السعودية والتي تتمثل في أنها سيدة بيت مثالية تتميز بالثقة في النفس والموضوعية والاجتماعية والطموح والكرم والوطنية وحب المظاهر والأنانية وعدم القناعة إلى جانب حفاظها على تعاليم دينها الإسلامي[١].

أما عن الطبيعة المزاجية والمعرفية للمرأة السعودية فإن القلة من الدراسات التي أجريت في بعض الأقطار الخليجية، واستناداً إلى النظريات السلوكية والمداخل السيكولوجية المختلفة فإن ثمة شواهد تؤيد الرأي القائل بواقعية المرأة السعودية وشدة التزامها وإيمانها بالقدر المكتوب مع حساسية تقليدية لآراء الغير[٢].

كما أشارت دراسة مها العيدان إلى مدى التغيير في دور المرأة في المجتمع السعودي حيث أكدت الدراسة أن دور المرأة المعاصرة في الأسرة

---

(١) بعض سمات شخصية المرأة السعودية في ضوء متغيري التعليم والعمل/ مي عبد العزيز السالم.

(٢) العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة السعودية المتعلمة في التنمية/ سهيلة عبد المحسن الإبراهيم، رسالة دكتوراه غير منشورة.

النووية كربة منزل وكأم وزوجة أكثر وضوحاً منه في الأسرة الممتدة التي كانت عليه الأسر في الماضي[1].

وتؤكد ثريا التركي بأنه كان لانتشار التعليم دور أساسي في تغيير وضع المرأة السعودية وتغيير نظرتها إلى ذاتها وشعورها بهويتها الخاصة والتي جعلت منها نمط غير خاضع كلياً للآخرين خضوعاً تاماً، إلا أن هذا التغير ـ بشكل عام ـ لم يكن عصياناً أو تمرداً ولكن نوعاً من الموازنة الحياتية المنضبطة للتكيف مع ضروريات العصر[2]، ولا ينافي هذا وجود أنماط شاذة مغالية في النظرة إلى الذات والاستقلال المطلق مما نتج عنه بعض الآثار السلبية كزيادة نسبة الطلاق.

كما أثمرت التغييرات الجذرية في نمط الحياة السعودية، وانتشار التعليم، وزيادة فرص عمل المرأة، وتوفير نظم الاتصال والأسفار عن بداية لاستقلال المرأة اقتصادياً وبداية مرحلة صراع الأدوار بين كونها ربة منزل وكونها امرأة عاملة بل ظهر ما يعرف بثنائية الولاء والانتماء والأحاسيس نتيجة لعمق أحاسيس المرأة نحو زوجها وأولادها من جهة وأحاسيسها نحو عملها ومكانتها من ناحية أخرى فهي حيرى بين الطاعة المطلقة والتفرد وبين الانقياد التام والاستقلال بل إن التكنولوجيا المعاصرة حتى في الأعمال المنزلية أزالت عن المرأة وظيفتها المنزلية التقليدية في المنزل كالكنس والغسيل وما شابه ذلك لتتحول تدريجياً إلى وظيفة أكثر أهمية تتمثل في إدارة المنزل وتنشئة أطفالها وتربيتهم إضافة إلى كونها طالبة وعاملة تسهم في بناء المجتمع[3].

إن صراع الدور وازدواجية المسؤولية بين البيت والعمل من حيث الوقت والجهد ومحاولتها التوازن مع نفسها ومسؤولياتها ودورها أثقل كاهلها

---

(١) التغيير الاجتماعي ودور المرأة في المجتمع السعودي/ مها العيدان.

(٢) العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة السعودية المتعلمة في التنمية/ سهيلة عبد المحسن الإبراهيم.

(٣) التغير الأسري في المجتمع السعودي/ عبد الإله سعد بن سعيد، رسالة ماجستير غير منشورة.

فهي تدرك أن وظيفتها الأساسية والطبيعية هي مسؤوليتها كربة منزل وأم وأن دورها سيظل أساسياً في ذلك، فالمجتمع في المملكة قائم على التماسك الأسري وعلى المحافظة على كيان الأسرة وترابطها والذي تعتبر المرأة المكون الأساسي له.

وقد أوضحت نتائج استطلاع الرأي في دراسة مجلس القوى العاملة لعينة من المواطنات سواء العاملات أو غير العاملات أن المرأة في المملكة ليست مستعدة للتضحية بدورها الأساسي في الأسرة في سبيل العمل الخارجي فهي تحاول التوفيق والتوازن في ذلك، فإن لم تتمكن فإنها مستعدة للتضحية بالعمل والعودة إلى المنزل، وبرغم انتشار استخدام الخادمات والمربيات في المنازل والبدء في انتشار دور الحضانة فإن ذلك لن يكون البديل للدور الطبيعي للأم في تربية الأبناء وفي إدارة شئون المنزل وأداء الحقوق الزوجية للزوج، ولذلك فإن عمل المرأة في المملكة لازال وسيظل محكوماً بثلاثة عوامل:

١) عدم الاختلاط بالرجال.

٢) مدى الضرورة للعمل ومدى ارتباطه بخصائص وطبيعة المرأة.

٣) القدرة على التوفيق والتوازن بين العمل الخارجي والعمل المنزلي[١].

وتشير دراسة أخرى إلى أن تحقيق المرأة لذاتها يكمن في نجاحها في المجال أو العمل المناط إليها فإن كانت متزوجة فإن نجاحها يكمن في تنشئة أبنائها التنشئة السليمة ورعايتها لزوجها، وفي ذلك تقول: أما عن عمل المرأة لتحقيق ذاتها ومساعدة مجتمعها فلا يجب أن يكون على حساب بيتها وأولادها وزوجها وصحتها أبداً، فإذا ما استطاعت التوفيق بين كل هذه المتطلبات وبرضا وتقبل جميع أفراد الأسرة (وهناك سيدات فعلنها) فلا بأس، أما لو اختل توازن الأسرة وتسبب عملها في تدمير أو حتى تعكير

---

(١) صراع الدور لدى المرأة السعودية العاملة وعلاقته بمستوى الطموح/ جواهر عبد الله آل الشيخ، ص٢٩.

الوضع الأسري فبيتها أولى بها، فالمجتمع يستطيع أن يجد البديل للمنصب الذي ستتركينه ولكن البيت لن يجد البديل عنك أبداً!![1]

(١) دور الأسرة في مجتمع متغير/ المكتب التنفيذي، ص٣٧٦ ـ ٣٧٧.

الأسس التي تقوم عليها التربية

تقوم التربية في المجتمعات الإسلامية على أساس الإسلام دين الله الذي جاء به محمد ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب، يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، وجعل الله تعالى عزة المؤمن في الاستمساك بالدين الإسلامي يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «**تركت فيكم كتاب الله وسنتي**»[(١)]، فقد جاء محمد ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ بكتاب الله موضحاً لهم الشرائع والأحكام فبين الحلال من الحرام.

ولا صلاح للمؤمن إلا بالاستمساك بكتاب الله واتباع سنة نبينا محمد ﷺ.

فالدين الإسلامي هو قوة الصادقين من أهله، ولكن يظهر في بعض ضعاف النفوس استعباد فكري وخنوع معنوي وتبعية مُهينَة، وسنة الله قاضية أن كل أمة تستبدل الضلال بالهدى وتتقاعس عن العمل المثمر النافع لاتزال في تقهقر وانحطاط وتلاشي واضمحلال يكون ذلك في فكرها وقوتها وسلوكها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ولفظه «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي» وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٩٣٧).

إذا هزمت الأمة في عقيدتها فقد غشيتها الذلة وما كان لها أن ترفع رأساً أو تحقق عزة[1].

لما كانت الأسس التي قامت عليها التربية الكتاب والسنة يجدر بنا هنا أن نعرض لمصدري الإسلام الأصليين الخالدين وهما القرآن والسنة:

أولاً: القرآن الكريم:

قال الراغب: والقرآن في الأصل مصدر نحو الغفران والشكران.

قال أبو عبيد: سمي القرآن قرآناً لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، وقال الراغب: سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة، وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي قراءته، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها على بعض في الترتيل[2].

وقال اللحياني: إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر، وهذا هو أقوى الآراء وأرجحها. فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩]. قال ابن عباس: إذا جمعناه أثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خص به الكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار كالعلم.

---

(١) توجيهات وذكرى/ صالح بن عبد الله بن حميد، ص٦٤.

(٢) الإسلام وبناء المجتمع/ أحمد محمد العسال، ص١١٣ ـ ١١٤.

تعريفه:

قال الشافعي: إن القرآن اسم خاص لكلام الله المنزل على النبي محمد ﷺ[1].

وعرفه اللحياني اصطلاحاً بأنه: كلام الله العربي المعجز المنزل على النبي محمد ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

ويعرفه الزرقاني بأنه: اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس: الموحى به إلى محمد ﷺ المتعبّدٌ بتلاوته والواصل إلينا عن طريق التواتر.

ويقال للقرآن: فرقان أيضاً، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات[2] قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفُرقان: ١].

خواصه:

١ ـ ألفاظه ومعانيه منزلة من الله.

أنزل الله تعالى كتابه بألفاظ عربية على محمد ﷺ يتلقاه بواسطة جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ⑥﴾ [النَّمل: ٦].

ولقد كان عليه السلام شديد الحرص على القرآن يخشى أن يتفلت منه كله أو حرف منه، يقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ⑯ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ⑰ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ⑱ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ⑲﴾ [القيامة:

(١) علوم القرآن والحديث/ أحمد داود، ص١٠.
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد الزرقاني، ص١١.

الآيات ١٦ ـ ١٩]، ويقول تعالى مطمئناً له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

٢ ـ قربة يتعبد بتلاوته:

يتعين على كل مسلم أن يقرأ القرآن في صلاته، فلا يجوز له القراءة بأي ترجمة كانت بل تجب القراءة بالنص العربي، ومن إعجاز القرآن أن نسمع الأعاجم وهم يتلون كتاب الله بكل فصاحة وطلاقة، وهناك من يقرأه عن ظهر غيب ولكنه يقف عاجزاً أمام فهم حوار باللغة العربية باستثناء القرآن.

فهو أفضل الذكر وشفاء لما في الصدور، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

ولقارىء القرآن الثواب الجزيل لقوله ـ عليه السلام ـ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف»**[(١)].

ولحافظ القرآن أعلى المراتب في الجنة وبقدر ما حفظ منه حيث قال ـ عليه السلام ـ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**[(٢)].

٣ ـ منقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلاً عن جيل: محفوظاً من أي تغيير أو تبديل.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقد سماه الله بأسماء كثيرة منها: الفرقان، والذكر، والتنزيل، وغلب من أسمائه القرآن والكتاب.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن برقم (٢٩١٠) وقال: «حسن صحيح»: وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن برقم (٢٩١٠) وقال: «حسن صحيح»: وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨١٢٢).

وفي ذلك يقول الدكتور دراز عليه رحمة الله: «روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن كما روعي في تسميته كتاباً مدوناً بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه»[1].

وفي تسميته بهذين الاسمين تأكيد على العناية بحفظه من وجهين:

أ ـ حفظه في الصدور.

ب ـ حفظه في السطور.

وحين يوافق ما عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر مع كتابة الكاتب فهذا ما يؤكد حفظه بهذين العاملين، وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية إنجازاً لوعده جلت عظمته وقدرته بحفظ كتابه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

٤ ـ حجة للرسول على أنه رسول من عند الله، وبرهان هذه الحجية إعجازه الناس أن يأتوا بمثله[2].

ثانيا: السنّة:

المعنى اللغوي لهذه الكلمة (السنة): الطريق والسيرة حسنة كانت أو سيئة، وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم: **«من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[3].

المعنى الاصطلاحي: هو مجموعة ما نقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتركه ووصفه وإقراره ونهيه وما أحب وما كره وغزواته وأحواله وحياته[4].

---

(١) الإسلام وبناء المجتمع للدكتور/ أحمد العسال، ص١١٤ ـ ١٧٦.

(٢) الإسلام وبناء المجتمع للدكتور/ أحمد العسال، ص١١٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة برقم (١٠١٧)، علوم القرآن والحديث/ أحمد محمد علي داود، ص١٦٦ ـ ١٦٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ عبد الرحمن النحلاوي، ص٢٤.

السنة في اصطلاح الفقهاء:

كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض أو الواجب بحيث يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه مما فعله النبي ﷺ وواظب عليه[1].

السنة في اصطلاح المحدثين:

ترادف الحديث، وهي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. فالقول كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: «**إنما الأعمال بالنيات**»[2]، والفعل كوضوئه ﷺ مرة مرة ومرتين مرتين[3]، ومشاهدة الصحابة لذلك.

والتقرير كإقراره ﷺ أفعال الصحابة بسكوت منه دلالة على الرضى أو إظهار الاستحسان، وذلك كإقراره اجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في بني قريظة حين قال لهم: «**لا يصلين أحد الظهر وفي رواية (العصر) إلا في بني قريظة**»[4].

فقد فهم بعضهم أن المقصد الإسراع في السير فصلاها في وقتها، وفهم البعض الآخر النهي على حقيقته فأخرها حتى صلاها بعد المغرب وبلغ النبي ما فعل الفريقان فأقرهما ولم ينكر عليهما[5].

حجيتها:

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ

---

(١) علوم القرآن والحديث/ أحمد محمد علي داود، ص١٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع فتح الباري) كتاب الوحي برقم (١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع فتح الباري) كتاب الطهارة برقم (١٥٨).

(٤) رواه مسلم برقم (١٧٧٠).

(٥) الإسلام وبناء المجتمع/ أحمد محمد العسال، ص١٢٥.

﴿فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣]، ومن هنا نرى أن طاعة الله مرهونة بطاعة الرسول ﷺ، فضلاً عن ذلك فإن الله قد أمر باتباع سنته عليه السلام، فإن ما يصدر منه ﷺ يكون تشريعاً وحجة على المسلمين، ولذلك جاءت السنة لتوضح للمسلمين ما جاء في القرآن، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن، وهي ما أطلعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه من أسرار دينه وأحكام شريعته ويعبر العلماء عنها بالسنة.

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: فذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله، وهذا يشبه ما قال ـ والله أعلم ـ لأن القرآن ذكر واتبعته الحكمة، وذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ منَّةً على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز ـ والله أعلم ـ أن يقال: الحكمة هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع الكتاب[١].

منزلتها من الكتاب:

تأتي السنة في المرتبة التالية للقرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع، ولذلك كانت السنة المصدر الثاني للتشريع، ومن هنا كان لزاماً على كل مسلم معرفة السنة لتكمل معرفته بالإسلام حيث يتسنى له القيام بتكاليف الإسلام وفهم روحه؛ لذلك جاءت السنة مقررة ومفصلة ومنشئة

---

(١) الإسلام وبناء المجتمع للدكتور/ أحمد محمد العسال، ص١٢٧.

لأحكام القرآن، والتي نوردها على النحو الآتي:

- مقررة ومؤكدة ما جاء في القرآن الكريم: من ذلك بر الولدين - والوصاة بمكارم الأخلاق.
- مفصلة ومفسرة لما جاء في القرآن مجملاً:

١ - الصلاة: ورد الأمر بها في القرآن، فجاءت السنة محددة أوقاتها وعدد ركعاتها، «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[١].

٢ - الحج: «**خذوا عني مناسككم**»[٢].

٣ - المعاملات: وضحت السنة البيوع الصحيحة من البيوع الفاسدة.

٤ - العقوبات: حيث فصلتها السنة وأوضحتها.

- منشئة حكماً سكت عنه القرآن:

١ - تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

٢ - تحريم الأكل في آنية من الذهب والفضة وأكل لحوم الحمر الأهلية.

٣ - تحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان من صحيحه برقم (٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج برقم (٣١٠).

(٣) الإسلام وبناء المجتمع للدكتور/ أحمد محمد العسال، ص١٢٨.

دور المرأة
في الحفاظ على الكيان التربوي

تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات التربوية الاجتماعية وأقواها أثراً في حياة الطفل وتنشئته بما تغرسه في نفسه من بذور الصحة والمرض في شتى حياته الأولى.

ولما كان الوالدان سيتعهدان الطفل بالعناية والرعاية والتوجيه منذ ولادته، ولما كان الوليد البشري هو أعجز الكائنات الحية فهو يعتمد على أمه منذ ولادته، فقد كانت السنوات الأولى في حياة الطفل فترة حاسمة وخطيرة في تكوين شخصيته، ولذلك حرص الإسلام على اختيار الأب للولدِ أماً فاضلة تحسن تربيته وتوجيهه، وتكون له القدوة الحسنة، فالطفل في سني حياته الأولى يميل إلى تقليد من حوله، فيتعلم من الأم، ويحتذي كل سلوك تمارسه، ولذا تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية التي تمارسها الأم في الأسرة ونورد فيما يلي أهم وسائل التربية داخل الأسرة:

١ ـ القدوة الحسنة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، وقال ﷺ: «لا

يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه»[1].

تعتبر القدوة كما ذكرنا سابقاً من أهم وسائل التربية، والأم تمثل النموذج الأمثل الذي يحاكيه الأطفال؛ فعلى المرأة المسلمة أن تتمثل الأخلاق الإسلامية من الصدق والأمانة والتواضع والإحسان والرفعة، وأن تتأس بأخلاق رسول الله ﷺ وتتخلق بأخلاقه.

يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت: «كان خلقه القرآن».

[وحين يتمثل الطفل سلوك الأم ويقتدي بها يكون قد تعلم منها الأسس الإسلامية الصحيحة فيشب منذ صغره على الصدق والأمانة والتواضع والرفق واحترام الكبير][2].

وعن أبي داوود[3] عن عبدالله بن عامر، قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة».

وأخرج أبو داود[4] عن عبدالله بن أبي بكرة رحمه الله تعالى قال: قلت لأبي: «يا أبت أسمعك تقول كل غداة: اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، ولا إله إلا أنت، تكررها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي، فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته».

والطفل الذي يقضي وقته مع أمه تجده يميل إلى تقليدها، فإن وقفت

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج١، ص٤١.

(٢) دور المرأة في المجتمع الإسلامي/ توفيق علي وهبة، ص٢٢٠.

(٣) في سننه كتاب الأدب، باب في الكذب. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤١٧٦).

(٤) في سننه كتاب الأدب برقم (٥٠٩٠) وحسنه الشيخ بكر أبو زيد في أذكار طرفي النهار.

لأداء الصلاة حاكى جميع حركاتها، ولذلك تمثل الأم القدوة التي يتشبه بها الطفل، ومن خلال ميله إلى التقليد يمكنها أن تبني شخصيته وتعوده السلوك المرغوب من خلال مجانبتها للكذب، والألفاظ النابية عند عقابه أو لومه، مع التزام منهج محددٍ ثابتٍ في التوجيه والتربية، ولذلك أصبحت القدوة أعظم وسائل التربية وأكثرها فعالية لما لها من أثرٍ فعالٍ في حياة الطفل؛ نتيجة لميله إلى تقمص شخصية من هو أكبر منه سناً وخاصةً والديه.

وهكذا يتسنى له اكتساب قيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه عن طريق والديه ومعلميه وأقرانه في المدرسة. وحين تكون القدوة صالحة تصبح أداة بناء شخصية الطفل نموذجاً حياً يقلده في مظهره وأقواله وحركاته وألفاظه وسلوكه، ولذا أوصى عمرو بن عتبة معلم أولاده: «إن عيونهم منعقدة بعينيك؛ فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت».

وقال علي بن أبي طالب في هذا الشأن موضحاً أثر القدوة في سلوك الأفراد: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[(1)].

٢ ـ الموعظة والترغيب:

ويقصد بها التوجيه المباشر بالأمر أو بالنهي مع لطف العبارة، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٢ ـ ٢٣].

---

(١) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٤٩٤.

وعليه فإن للموعظة أثراً فعالاً وكبيراً على سلوك الأبناء فترسخ المبادئ والأسس الإسلامية في نفوس الأبناء، ولكي يكون للموعظة هذا الأثر لا بد من مراعاة الوقت المناسب لتخول الأبناء بالموعظة، وهناك ثلاث أوقات أساسية في توجيه الطفل نوردها على النحو الآتي:

أ ـ النزهة وعند السير في الطريق: حين يتغير على الطفل جو المنزل فيكون مرافقاً لأبيه أو أمه في نزهة أو راكباً فإنه يكون أكثر استعداداً للتلقي وقبول النصائح والتوجيهات بحيث يكون بمفرده معهما؛ حتى لا تكون هناك مؤثرات أخرى خارجية قد تعكر صفو الجلسة أو الموعظة[١].

ب ـ عند تناول الطعام: حين يجوع الطفل ويضعف أمام الطعام فإن ذهنه يكون منصرفاً إلى الطعام، وهنا تكون قابليته لسماع التوجيهات والموعظة وتقبلها دون أي احتجاج أو رفض؛ فينصت لحديث أبويه، وهنا تكون الفرصة طيبة لأبويه لمراقبة ومتابعة طريقة تناوله للطعام وتوجيهه بهدي النبي ﷺ.

لمّا قال ﷺ لعمر بن أبي سلمة حين كان غلاماً: «**يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**» فكان عمر بن أبي سلمة يقول: فما زالت طعمتي بعد.

ولذلك كان لزاماً على الأبوين مجالسة الأبناء عند تناول الطعام، للاستماع إلى أحاديثهم وما مر معهم من مواقف خلال يومهم العلمي والعملي، وإرشادهم وتوجيههم إلى الطريق الأقوم.

ج ـ وقت المرض: حين يمرض الطفل وحتى الراشد فإنه يكون أكثر قابلية للإيحاء وتقبل النصيحة[٢]، وهنا يمكن للوالدين إرشاد أبنائهما إلى جوانب القصور والنقص التي تبينت لهما من خلال مراقبتهما، وتخولهم بالموعظة والنصيحة بعد انتهاء الموقف الذي يتطلب الموعظة بوقت ما لم يقتضِ الموقف زجراً فورياً.

---

(١) كما فعل رسول الله ﷺ في الحديث المشهور مع ابن عباس رضي الله عنهما وكان غلاماً قال: كنت راكباً ردف رسول الله ﷺ، فقال: «**يا غلام: احفظ الله يحفظك. . . .**».

(٢) ويؤخذ هذا من دخوله ﷺ على ذلك الغلام اليهودي وهو مريض ووعظه بالإسلام حتى نطق الشهادتين قبل موته.

٣ ـ التربية بالقصة:

حفل القرآن الكريم بالعديد من القصص، ولعل من أبرزها قصة يوسف ـ عليه السلام ـ حين جاءت، لتخفف عن الرسول ﷺ عظم البلاء والشدة التي لاقاها في الدعوة، فجاءت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ، وكذلك سورة هود ـ عليه السلام ـ حافلة بالعديد من العبر والمواعظ، فمن نوح ـ عليه السلام ـ وقصته مع قومه وابنه، إلى عاد وثمود وصالح وشعيب عليهم السلام، وكل منها يحتاج إلى وقفات عديدة. ولهول ما جرى لأولئك الأقوام يقول الرسول ﷺ: «**شيبتني هود وأخواتها**»[(١)]. ولذا فإننا نجد القرآن الكريم قد استخدم القصة، للتربية والتوجيه وتربية النفس والعقل.

ونحن نعلم حب الأطفال لسماع القصص وخاصة عند النوم، كما أن القصة تشد انتباه الطفل وتوقظه فكرياً؛ ولذا فيمكن الإفادة من ذلك في سرد قصص النبيين أو قصصٍ أخرى يوجه بها سلوك الطفل غير المرغوب، من خلال قصة لطفل يماثله في السلوك نفسه، مع الإشارة إلى النتائج السلبية لذلك السلوك، إلى غير ذلك من القصص التوجيهية عن الأمانة والصدق ومساعدة الغير وما شابه ذلك.

وتمتاز القصة باعتبارها وسيلة تربوية عن غيرها من الوسائل بملازمتها للطفل في كل زمان ومكان، هذا بالإضافة إلى أنها وسيلة تربوية قليلة التكاليف إذا قورنت بالوسائل الأخرى، إلى جانب ما تقوم به القصة من إشباع لحاجات الطفل. على أن تأثير القصة التربوية يتوقف على قدرة القاص على إخراج الطفل من حدود نفسه إلى حيز القصة؛ ليندمج في حوادثها، ويعيش مع أشخاصها حياتهم، كما يتوقف تأثيرها على مراعاة مرحلة نموهم وتخير موضوعها المناسب لهم[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٢٩٧) وغيره وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٥٥).

(٢) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٥٠٥.

إن طرائق التربية ليست واحدة في كل عصر وفي كل مجتمع فمن التربية بالقدوة والموعظة إلى التربية بالقصة سجل حافل بجميع التوجيهات، بل هي وليدة ظروف وحاجات المجتمع ومتطلباته، ومن ثم فهي تتغير كلما تغيرت الأهداف واهتمامات التربية؛ لمواجهة متطلبات المجتمع وحاجاته.

وليست هناك طريقة واحدة تصلح لتحقيق جميع أغراض التربية ولجميع مراحل النمو، وإن كانت الطرق والوسائل تتكامل في سبيل الوصول إلى الهدف، ولذلك نجد أن هناك تكاملاً بين الطريقة والهدف في التربية الإسلامية، وأن هذه الطرق والأساليب تتنوع وفقاً لظروف وطبيعة واستعدادات وسن المتلقي وجميعها تخضع للإسلام وتعاليمه.

٤ ـ العقوبة والجزاء:

يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: الآيتان ٧، ٨]، ومن المعروف أننا نثيب على السلوك الصحيح أو المرغوب فيه، ونعاقب على السلوك الخاطىء غير المرغوب فيه، ونحن نسعى من وراء ذلك إلى القضاء على السلوك الخاطىء.

ويمكن أن نعرف الثواب (Reward) بأنه أثر يتبع الاستجابات، ويؤدي إلى الشعور بالرضا والارتياح. وتأخذ المكافأة أو المثوبة عدة صور؛ فقد تكون الجوائز مالية، أو ميداليات، أو درجات، وتقديرات مدرسية، أو رتب، أو مدح لفظي، أو غيرها مما يشعر الطفل بالارتياح[1].

أما العقوبة فتعني حرمان الطفل من المكافأة بجميع صورها وأشكالها التي ذكرناها، بالإضافة إلى توجيه اللوم والتقريع.

والعقوبة ليست ضرورة لكل شخص، ولا تعني أن تكون التربية بالعصا، فهناك وسائل أخرى للتربية. يقول تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

ولذلك فإن كلمات المدح والثناء أو الجوائز المادية التي تقدم للطفل

---

(١) علم النفس التربوي/ فؤاد أبو حطب، ص٣٦٣.

تعتبر وسيلة ناجحة؛ لدعم وغرس المبادئ الإسلامية الصحيحة، ولكن حذار من المغالاة في التدليل، واستخدام عبارات الثناء والمدح في غير مناسبتها، فإن ذلك يعني فساد الطفل، ولذلك فإننا عندما نلمس عدم تجاوب الطفل للتوجيهات والمواعظ التي يسمعها تصبح الوسيلة المثلى للتوجيه هي الشدة والعقوبة، لكنها ليست الشدة التي تفسد الكيان، فحين تستخدم العقوبة باعتبارها استراتيجية مستمرة في تربية الطفل فقد يؤدي ذلك إلى زيادة مستوى القلق عند الطفل بحيث تكون أخطاره أشد ضرراً من الفشل في التعلم وقد يؤدي إلى تكوين مفهوم سلبي للذات(١).

والإسلام يدعو إلى استخدام جميع الوسائل؛ فمن القدوة والموعظة والترغيب والثواب إلى التخويف والترهيب والعقاب المناسب.

يقول تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦]، ولذلك فإن التربية السليمة لا تعتمد على التدليل المفرط ولا القسوة الزائدة، ويشير إلى ذلك الإمام الغزالي في رياضته الصبيان في أول الطفولة: (اعلم أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه جوهرة ساذجة، فإن عوّد الخير نشأ عليه وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عوّد الشر نشأ عليه، وكان الوزر في عنق وليه، فينبغي أن يصونه، ويؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه أسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر)(٢).

ويقول الرسول ﷺ: **«مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**(٣).

ولكي تؤدي العقوبة دورها في التربية فإن على الأبوين الابتعاد عن

---

(١) علم النفس التربوي/ فؤاد أبو حطب، ص٣٧٢.

(٢) مختصر منهاج القاصدين/ أحمد بن قدامة المقدسي، ص٢٠٧.

(٣) الفتاوى، ج١١، ص٥٠٤، أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٩٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٨٦٨).

كثرة الملامة والعتاب على تصرفات وأعمال الطفل؛ لكي يُكوّن فكرة إيجابية عن ذاته، فيزرع في نفسه بذور الثقة مما يساعده على النجاح في مسيرة الحياة.

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: دعوه فلو قدر، أو قال لو قضى أن يكون كان».

ويمثل الاستحسان الاجتماعي أسلوباً فعالاً للتدعيم، وتتوقف فعالية هذا الاستحسان على من يمنحه، وأن استحسان الأب لما ينجزه ولده من أعمال شيء مهم في تربيته حيث إن الخواص الدافعة للاستحسان الاجتماعي تتوطد جذورها في الدفء الوالدي.

أما استخدام العقاب باعتباره وسيلة تربوية للضبط الاجتماعي فقد قدم المربون المسلمون الثواب عليه في كل الأحوال، ولم يسمحوا باستخدامه إلا عند الضرورة، وقد راعوا في استخدامه ما بين الأطفال من فروق فردية، فقال العبدري: [رب صبي يكفيه عبوسة وجه عليه، وآخر لا يرتدع إلا بالكلام الغليظ والتهديد، وآخر لا ينزجر إلا بالضرب والإهانة كل على قدر حاله]، وقال ابن الجزار القيرواني: «إن من الأطفال من إذا مدح تعلم كثيراً، ومنهم من يتعلم إذا عاتبه المعلم ووبخه، ومنهم من لا يتعلم إلا للفرق من الضرب»؛ ولذا عنت التربية الإسلامية بالفروق بين الأطفال باستخدام أساليب متنوعة للتهذيب والتأديب(١).

والمرأة أماً أو أختاً أو جدة تمارس التربية في الأسرة تلقائياً لطول واستمرار احتكاكها بالنشء داخل الأسرة، وكلما كانت أقرب إلى السلوك والخلق الإسلامي كلما كانت أقدر وأكفأ عند ممارسة أساليب التربية السابق ذكرها في الحفاظ على كيان الأسرة التربوي من الخلل.

---

(١) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٥٠٦.

دور المرأة
في الحفاظ على الكيان الاجتماعي

تعتبر الأسرة أهم المؤسسات التربوية الاجتماعية، وأقواها أثراً في حياة الطفل وتنشئته؛ بما تغرسه في نفس الطفل من بذور الصحة والمرض في سني حياته الأولى، والتأثير على تكوينه النفسي والاجتماعي.

ويؤدي الوالدان دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية والتي بها يعدان الطفل للحياة في المجتمع الكبير. وتحرص الأم في المجتمع السعودي على بناء شخصية إسلامية متوازنة؛ فالإسلام بمفاهيمه الواضحة، وخصائصه الفريدة، وأبعاده الشاملة كان الإطار الذي يوجه أي تفكير وأية ممارسة اجتماعية أو تربوية؛ ولذا كان الإسلام هو الركيزة التي اعتمدت عليها الأم في بناء دعائم، ولبنات البيت المسلم، لكي تخرج إلى المجتمع إنساناً متوازناً مع فرديته، ومتوازناً في ميله إلى الجماعة، يحيا بعيداً عن الانطواء والخجل، في تفاعل دائم مع المجتمع، يعطي ويأخذ، يجالس الكبار ويحترمهم، ويحنو على الصغار ويتودد إليهم، يغرس فيهم القيم والاتجاهات السامية، يُلقي بتحية الإسلام على من يلقى من الناس، حركة دائبة ونشاط وتفاعل دائم ومتواصل، يخرج إلى السوق يبيع ويشتري، وينجز بعض المهام عن والديه، يشارك أقرانه اللعب، ويعود المريض منهم يخفف عنه آلامه، شخصية متزنة متكاملة من كل جوانبها، بناء قوي ودعامة راسخة لتكوين المجتمع الإسلامي مستمدة من سنة الرسول ﷺ في حرصه على

هؤلاء النشء منذ نعومة أظفارهم، فكانت توجيهاته النبوية مع الطفولة أسساً راسخة في بناء الكيان الاجتماعي تستقي منها الأم المسلمة روافد التربية الاجتماعية لتنشئتها ونعرضها على النحو الآتي:

١ ـ اصطحابه إلى مجالس الكبار:

إن حضور الطفل مجالس الكبار يتيح له خبرات عملية واقعية مختلفة، لا تعتمد على التلقين، بل المشاهدة، والممارسة؛ فيكتسب بصورة عملية ما يُهيؤه ويعينه على التفاعل والتكيف مع المجتمع الكبير، فيتعامل مع المواقف والمشاكل بأسلوب مؤدب مهذب ومنظم، وتوجه قدراته، وتكمل نقائصه من دون تقليل لشأنه، فيستفيد من أخطائه، ويكتسب الجرأة المحمودة عند مُخالطة الكبار عندما يعبر عن نفسه ورأيه ومطالبه، طالباً الإذن بالحديث بكل أدب ووقار.

وها هو عمر ـ رضي الله عنه ـ يصحب ابنه إلى مجالس رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحتّ ورقها»**، فوقع في نفسي النخلة، فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: **«هي النخلة»**، فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه وقع في نفسي النخلة، قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كان أحب إليّ من كذا وكذا قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت[١]. وفي رواية: فإذا أنا أصغر القوم فسكت.

وعليه فمن خلال حضور مجالس الكبار من الرجال بالنسبة للابن، وحضور مجالس النساء والندوات والمسابقات بالنسبة للابنة، يتاح للآباء والأمهات الكشف عن جوانب القوة والضعف في الطفل؛ فتشجع جوانب القوة، وتُدعم وتُثبت في نفسه، ومن خلال المشاركات الأولية البسيطة تتاح له فرصة التعرف على أحاديثهم، والدخول إلى مجتمعهم شيئاً فشيئاً.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان عمر يدخلني مع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢١٦٦).

أشياخ بدر، فقال له عبدالرحمن بن عوف: لم تدخل هذا الفتى معنا؟ ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني، وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً، فقال لي يا ابن عباس: أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[(١)].

٢ ـ المشاركة في حاجات الأسرة:

إن مجالسة الطفل للكبار، والحديث معهم، وتعويده المشاركة في ذلك، والاستئذان عند الرغبة في المشاركة كل ذلك يكسبه اتجاهات اجتماعية تُسهم جميعها في البناء الاجتماعي المتكامل للاتجاهات الثابتة المتفاعلة مع بعضها بعضاً.

وإن إيعاز الطفل لقضاء بعض المهمات ونجاحه وتوفيقه في القيام بالمهمة التي أوكلت إليه خير قيام لهو من أكبر العوامل التي تعزز وتثبت لديه روح الإقدام والجرأة والشجاعة؛ والإقدام على سبر أغوار الحياة، فيشعر بالسعادة والفرح للتجربة التي اجتازها بنجاح، ويكتسب الجرأة والشجاعة والثقة بالنفس للنجاح الذي حققه من جراء التجربة التي عاشها، والمهارة التي اكتسبها، ومن خلال حديثه ولقائه مع من ذهب إليهم لقضاء حاجته، فيعود إلى المنزل وقد حقق ذاته؛ واستشعر مذاق النجاح، فامتلأت نفسه غبطة وسروراً، وبذلك تكون الأم قد أشبعت لدى طفلها عدداً من الحاجات النفسية.

فقد روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال خرجت إلى صبيان يلعبون،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير برقم (٤٩٧٠).

قال: فجئت أنظر إلى لعبهم، قال: فجاء رسول الله ﷺ على الصبيان يلعبون، قال: فدعاني رسول الله ﷺ فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها، وجلس رسول الله ﷺ في فيىء حتى أتيته، واحتبست عن أمي عن الإتيان الذي كنت آتيها فيه، فلما أتيتها قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟، قلت: هو سر لرسول الله ﷺ، قالت: فاحفظ على رسول الله ﷺ سره، قال ثابت(١): قال لي أنس: لو حدثت به أحداً من الناس، أو لو كنت محدثاً به لحدثتك به يا ثابت.

وعليه فمن خلال قضاء الحاجات يمكن أن يكسب الطفل الكثير من القدرات كالقدرة على تحمل المسؤولية والآداب، مثل تعويده سنة السلام، فيتعلم إلقاء تحية السلام على الناس على اختلاف مستوياتهم، وقد حرص ـ عليه السلام ـ على غرس تلك السنة في نفوس الصغار؛ فقد روى أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله(٢).

ويجب على الوالدين تعويد الطفل على الاستئذان وإلقاء تحية الإسلام عندما يدخل عليهما؛ فقد روى الترمذي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن لك بركة عليك وعلى أهل بيتك»** وقال: حديث حسن صحيح.

فإلقاء تحية الإسلام لها قواعد وضوابط، فحين يدخل الطفل على والديه، وحين يمر الراكب يسلم على الماشي؛ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»**، وفي رواية البخاري: **«والصغير على الكبير»**.

ومن آداب قضاء الحاجات: تعليم الطفل اللطف في الطلب، وذلك حين تكون الحاجة طلب دين؛ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«كان رجل يُداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذ أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه»**(٣)، ومن

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل/ محمد نور سويد، ص١٣٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة برقم (١١٩٦).

هنا يكتسب الطفل آداب قضاء الحاجات، والرحمة والإحسان إلى الناس، ومن العوامل التي تُسهم في بناء شخصية الطفل: حضوره الحفلات المشروعة؛ كحفلات الزواج، فحين يخالط الناس، ويبادر بإلقاء التحية عليهم، ويستمع إلى أحاديثهم الودية، ويشاركهم سعادتهم بالحدث، ويعايش تلك المشاعر، فيتعرف على أعضاء جدد من أقرانه، فإن ذلك مما يُصقل شخصيته ومواهبه، ويُظهر قدراته واجتماعيته، فينشأ غير خجول، ولا منطوٍ، قادر على مواجهة الجمهور.

٣ ـ حب العمل والتعاون:

حرص الإسلام على العمل، ورغب فيه، وحث عليه، بغية بذر بذور الهمة العالية في النفوس، ولنا في الرسل ـ عليهم السلام ـ خير قدوة وأطيب مثال، فها هو رسول الله ﷺ يرعى الأغنام، ويعمل بالتجارة، كما أن نبي الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده، وما من نبي إلا وقد رعى الأغنام، وقد فعل ذلك موسى ـ عليه السلام ـ لسنوات عديدة في مدين.

روي أن لقمان الحكيم قال لابنه: يا بني استعن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به[١].

إن تعويد الطفل منذ الصغر على المشاركة في البيع والشراء لهو من الأمور التي تغرس في نفسه الثقة بالنفس، والتفاعل مع أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم من خلال لقائه حين يمارس عملية البيع، فينشأ معتمداً على نفسه، مشاركاً في الحياة الاجتماعية، بعيداً عن الدلال المفرط الذي يعيشه كثيرٌ من أطفالنا وأولادنا في الوقت الراهن، وفي ذلك إفساد لهم، واستصغار لأمثال تلك الأعمال، رغم أننا نشاهد بعض المتاجر أثناء الإجازات تستعين بأطفال الأسرة للمشاركة في عملية البيع والشراء، فتغرس

(١) مختصر منهاج القاصدين/ ابن قدامة المقدسي، ص١٠٨.

في نفوسهم منذ الصغر حب العمل، والتعاون، والتضحية والبذل، والعطاء، وترسيخ التعاون، وتكوين اتجاهات إيجابية، و يتضح ذلك داخل المنزل عندما يتعاون الطفل مع إخوته في إنجاز أي عمل، كأن تمنح الخادمة يوماً للراحة، ويشارك جميع أفراد الأسرة في التنظيم والترتيب وإعداد الطعام، وكذلك من خلال مشاركة الطفل لبعض الأنشطة المدرسية، مثل: ضبط النظام، أو أعمال البيع في مقصف المدرسة، أو المشاركة في الحفلات المدرسية، أو المعارض السنوية، وبذلك تتاح للطفل فرص كبيرة لاكتساب العديد من الخبرات، ومواجهة المشاكل وحلها، والثقة بالنفس، والإيثار، والتعاون، وتزداد تلك الاتجاهات رسوخاً حين نقصّ على الأطفال قصص الأنبياء، فيكون في ذلك أعظم قدوة وأعلى مثل يقتدي به الطفل.

وقد روي عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مرّ بعبدالله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان، أو الصبيان، قال: **«اللهم بارك له في بيعه»**، أو قال: **«في صفقته»**. فها هو غلام ابن عم رسول الله ﷺ وهو طفل يبيع، ويشتري، ويثني عليه رسول الله ﷺ من خلال الدعاء له بالبركة.

وللأم دور فعال في تشجيع الطفل على ممارسة العمل الاجتماعي وإكسابه الاتجاهات الصحيحة في مشاركة الآخرين استنارة بهدي الرسول ﷺ في هذا المجال.

٤ ـ اتخاذ أصدقاء له (جماعة الرفاق):

لما كان الإنسان اجتماعياً بالفطرة فإن الطفل ينشأ اجتماعياً، ومن خلال مشاركته مجالس الكبار، وإيفاده لقضاء بعض المهمات والمشاركة في المناسبات، وحضورها، تتسع دائرته، فينتقل من دائرة الأسرة الضيقة إلى مجتمع أرحب وأوسع وأكبر، فيكون علاقات ويعقد صداقات مع أفراد من سنه يطلق عليهم جماعة الرفاق.

والطفل في نموه الاجتماعي بحاجة إلى رفاق من سنه يتفاعل معهم، ويتأثر بهم، وتتخذ جماعة الرفاق أو بالأحرى جماعة اللعب، والتي لا

تتعدى في بداية تكوينها أطفال سرعان ما يختلفون، فتنحل تلك الجماعة. ومع تقدم الطفل في العمر يجد نفسه بحاجة إلى تلك الجماعة، وتفرض عليه تلك الحاجة نوعاً من الانضباط والالتزام بالقيود التي تفرضها عليه تلك الجماعة، وبالتالي يكيف الطفل سلوكه وفقاً للمعايير المرغوب فيها لذلك السلوك. وإلى ذلك يشير ابن سينا بقوله: «الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس»، ويقول أبو عثمان الجاحظ: «الصبي عن الصبي أفهم، وبه أشكل».

ويُخضِع الطفل سلوكه وفقاً لمعايير جماعة الرفاق، بدافع من حاجته إلى التقبل والانتماء إلى تلك الجماعة، وحرصاً على الاستمرار في الانتماء إليها. ويعدّ ذلك من أهم وأعقد وسائل التطبيع الاجتماعي حين يتنازل الطفل عن رغباته، ويكيف سلوكه وفقاً لسلوك الجماعة ومعاييرها، وذلك يؤكد لنا أهمية جماعة الرفاق التي يلعب معها، ويلهو بحياته، بعيداً عن ضبط وقيود الكبار، فيشعر بالبهجة والسعادة والاطمئنان.

وإلى ذلك أشار ابن سينا حين قال: «يحادث الصبيان، والمحادثة تفيد: انشراح العقل، وتحل منعقد الفهم؛ لأن كل واحد من أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى، وأغرب ما سمع، فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه، والتعجب منه سبباً لحفظه وداعياً إلى التحدث به، ثم إنهم يترافقون»[(١)].

ومتى أحسنت الأم توجيه الطفل؛ لاختيار الرفقة الصالحة مع متابعة ومراقبة عن بعد وتدخل لطيف في الوقت المناسب لحل مشكلاته كان ذلك عوناً له على السير في الطريق الموصل إلى مرضاة الله، ومحبته، والسير على نهج القرآن الكريم، واتباع سنة محمد ﷺ، وبذلك يكون عوناً له على ترسيخ المبادئ الإسلامية القويمة الصحيحة، فإن صلاح هؤلاء جميعاً ـ الطفل ورفاقه ـ يترتب عليه صلاح المجتمع بأسره؛ لتعيد للأمة الإسلامية أمجادها السابقة.

---

(١) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٤٧٥.

٥ ـ مبيت الطفل عند أقربائه:

إن خروج الطفل من بيته للمبيت عند أحد أقربائه الصالحين فيه تدريب له على الاستقلالية، والاعتماد على النفس، والانفصال عن أسرته؛ للتعايش والتعامل مع أسرة أخرى قد لا يجد العناية والاهتمام الذي يلقاه من أسرته، ولكن يكتسب منها من الخبرات والتجارب، ويمتص منها رحيق العلوم النافعة، ويحتذي ويقلد عباداتهم وصلواتهم.

وها هو ابن عباس يذهب للمبيت عند خالته ميمونة بغية الاقتداء برسول الله ﷺ في صلاته فيروي ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «بتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ. وفي رواية غير البخاري: لأرقب صلاة رسول الله ﷺ»[(١)].

وهذه الوسيلة من أجدى وسائل التربية الاجتماعية التي يمكن أن تتيحها الأسرة ـ والأم بتشجيعها خاصة ـ للطفل إذا ما أحسنت الاختيار مع تنبيه الطفل للملاحظة وتشجيعه على اكتساب الصفات المرغوبة.

(١) منهج التربية النبوية للطفل/ محمد نور سويد، ص١٣٨.

دور المرأة
في الحفاظ على الكيان النفسي

التربية النفسية:

لقد اهتم الإسلام بإشباع مطالب الجسم وتلبية حاجاته؛ إيماناً منه بأن الإنسان مكون من (جسم ـ عقل ـ نفس)، وكل جزء من هذه الأجزاء له استقلاله النسبي إلا أن جميعها تشكل (الإنسان)، ومن ثم فإن علاقة كل منهم بالآخر أمر حتمي؛ لأن الإنسان وحدة متكاملة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآيات ١ ـ ٤]، وهذه الآيات جميعها لم تفصل أجزاء الإنسان بعضها عن بعض؛ لأن القرآن اعتبرها وحدةً وكلاً لا يمكن فصله.

وحين خلقه صوره في أحسن صورة، ووضع فيه الاستعدادات الفطرية للخير والشر، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤].

والمتأمل لهذا المخلوق الجديد يرى فيه كل مظاهر الإبداع والقدرة التي خلقه الله منها إنساناً، وهذا الخلق يبدأ بتكوين الجنين في بطن أمه، وتتواصل الحياة ويتكاثر النسل.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النِّساء: ١].

وإن من مظاهر اهتمام الإسلام بالإنسان أنه حرم وأد البنات الذي كان منتشراً في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

ومن هنا نجد أن الإسلام اهتم بنفسية الإنسان، وكرمه على سائر المخلوقات، ووجه عنايته للطفل، فاهتم بنفسيته وكرامته، وحفظ له مكانةً رفيعة لدى الأسرة، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]. فالإنسان يسعى في كل لحظة إلى تجميل نفسه وبيته، بتسخير المادة التي تحت يده في ذلك، ولكن لا تحلو الحياة بدون الأطفال، ولا يشكل الزوجان أسرة بمفردهما فلا بد من وجود ما يجمل الحياة بين الزوجين، وهما الأطفال زينة الحياة الدنيا. ومن حرم الأطفال لا تحلو له الحياة، ولا تصفو، ويسعى جاهداً بكافة الوسائل والطرق طلباً لهم، وعندما تتحقق الأماني، ويرزق الزوجان بالولد تزدهر الحياة، وتشرق السعادة في نفوس الزوجين، يقول تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

فمن اللحظة الأولى التي يخرج فيها الطفل إلى الدنيا يكون وجوده بشارة للوالدين، يعقبه التهنئة، والتهنئة تعنى الدعاء للمولود بالخير، كما تعني استمرار الروابط الأسرية حين يبارك أفراد الأسرة من قريب، أو بعيد بمولد مولود جديد، ولفظ التهنئة المشروع هو: «بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره»[1].

ومن هنا تبدأ بذور المحبة والرعاية والتقبل التي تشكل نفسه، وتبني شخصيته، ومن هنا يبدأ الرباط الوثيق لهذه العاطفة الفياضة عاطفة الأمومة؛ التي تثير مشاعر الرحمة والشفقة، فتحيطه بسياج من العاطفة تكون عوناً لها في أداء دورها نحو وليدها، وعلى ذلك يؤكد مربي هذه الأمة

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٢٠.

حيث يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش؛ أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»**[1].

١ ـ حسن اختيار الاسم:

ولما كان الاسم ملازماً ملاصقاً لصاحبه، فقد حرص الإسلام على اختيار الاسم الحسن للمولود؛ لأن كل إنسان له نصيب من اسمه، ولقد غيّر الرسول ﷺ اسم عاصية[2] وقال: أنت جميلة.

كما أرشد عليه السلام إلى أحب الأسماء، حيث قال: **«تسموا باسم الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»**[3].

٢ ـ حسن استقبال المولود:

لما كان الأبناء هم زينة الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، لذلك فإن من حُرِم هذه النعمة فقد حُرِم نوعاً من لذة الحياة، والطمأنينة، والاستقرار النفسي، وتكوين الأسرة، ولذلك فإن عاطفة الأمومة والأبوة قد جعلت ولادة مولود في الأسرة يعني سعادة الأسرة بكاملها، لانضمام عضو جديد لها.

بغض النظر عن نوع المولود ذكراً كان أم أنثى، وإن كان العرب في الجاهلية يئدون البنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩]. ولبشاعة هذه الظاهرة في الجاهلية، فقد حرّم الإسلام وأد البنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: الآيتان ٨، ٩].

---

(١) انظر فتح الباري، ج٦، ص٤٧٢.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٩٠.

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٨٠.

وبسبب بغض البنات هجر أبو حمزة الضبي خيمة امرأته بعد أن ولدت له بنتاً، وكان يقيل ويبيت عند جيران له، ثم مر يوماً بخبائها وإذا بها تُرَقِّص ابنتها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذاك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

قال الراوي: فغدا الشيخ حتى ولج البيت، وقبّل رأس امرأته وابنتها[1].

وترغيباً في قبول الإناث فقد وعد الإسلام بالأجر العظيم لمن أحسن تربية البنات، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»**[2].

ومن المظاهر المعنوية لاستقبال المولود: البشارة، والتهنئة، ومن المظاهر المادية: العقيقة، وللغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة. فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أمرنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن نعق عن الغلام بشاتين، وعن الجارية شاة» رواه ابن أبي شيبة[3].

وحين تستقبل الأم طفلها منذ ولادتها بالرضى، والتقبل، والسعادة أياً كان جنسه ينعكس هذا على علاقتها بالطفل، فتحيطه بالرعاية والاهتمام والحب، فتزرع بذور الثقة في النفس والإحساس بالكرامة، فتشرق نفسه بالسعادة مع الإحساس بالتقدير.

ومن فوائد العقيقة:

١ ـ تفك رهان المولود، فإنه مرتهن بعقيقته، قال الإمام أحمد:

---

(١) تربية الأولاد في رحاب الإسلام/ محمد حامد الناصر، ص١٧١.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٤٦.

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٤٨.

«مرتهن على الشفاعة لوالديه»، وقال عطاء بن أبي رباح: «مرتهن بعقيقته، قال: يُحرم شفاعة ولده»[1].

٢ ـ إظهار الفرح والسرور بانضمام عضو جديد للأسرة، وزيادة عدد المسلمين.

٣ ـ قربان يُقرّب عن المولود في أول خروجه إلى الدنيا.

٤ ـ رفد موارد التكافل الاجتماعي برافد جديد يحقق في الأمة مبادئ العدالة الاجتماعية، ويمحو عن المجتمع ظواهر الفقر، والحرمان، والفاقة.

٥ ـ استحباب طبخ العقيقة، لكي يُكفى الفقراء والمساكين مؤونة الطبخ، وهو زيادة في الإحسان، لا أن يُقتصر الإطعام على أفراد الأسرة فقط فيُحرم الفقراء والمساكين من حق التكافل الاجتماعي[2].

ويستحب حلق رأس الصبي عند العقيقة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في حديث العقيقة: «ويحلق رأسه ويسمى»[3].

٣ ـ العدل والمساواة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، فقد تغرس الأم بذور الغيرة في نفس الطفل حين تفرق في معاملتها بين الأبناء، وقد يكون ذلك عند ميلاد طفل جديد، وقد يترتب على ذلك أن يفقد الطفل ثقته في بيئته، ولا سيما فقدان ثقته في أمه بل وفي نفسه، وكل من حوله حيث يشعر أنه غير مرغوب فيه، وبذلك يبدأ شعوره بالحقد والكراهية؛ ولذا فإنه من الواجب على الوالدين العدل والمساواة[4] في معاملة الأبناء.

فمما يثير الغيرة والحسد أن يستحوذ أحد الأبناء على حب ورعاية

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٥٣.
(٢) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٥٣.
(٣) تحفة المودود بأحكام المولود/ ابن قيم الجوزية، ص٦٩.
(٤) علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام/ محمد محمود محمد، ص١٨٨.

واهتمام الوالدين، وقد يكون ذلك لتميزه وتفوقه الدراسي، أو غير ذلك، فتحدث المقارنة بين الأبناء، وقد تكون صريحة أمام الآخرين، ظناً منهم أنها وسيلة لاستثارة غيرته، فيبذل جهداً أكبر من أجل أن يحرز تقدماً ونجاحاً. إلا أن الشعور الدائم بالغيرة وإثارة الحسد في نفس الطفل يؤدي إلى شعوره بالنقص وفقدان الثقة، ولذلك ناشد الرسول ﷺ الآباء قائلاً: **«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»**.

وأن يرضوا بما قسم الله لهم من معطيات البنين أو البنات، وعليهم أن يسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعاً بروح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة؛ حتى ينعموا بظلال العدل الشامل، والنظرة الرحيمة، والعطف الصادق، والمعاملة العادلة.

كما دعا الرسول ﷺ إلى المساواة في العطية، وحتى في القُبَل والملاطفة لأجل ألاّ تستثار الغيرة في نفس الطفل وما يترتب على ذلك من مشكلات تظل راسخة في نفسيته في صورة عقد نفسية حتى يكبر.

٤ ـ الثبات الانفعالي:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]، أي وسطاً في جميع أمور الحياة، بحيث يكون الفرد متوازناً مع جميع المثيرات من حوله، وحين ينجح الإنسان في قيادة نفسه، وتحقيق التوازن في حياته، و لن يتحقق له هذا إلا بعد جهاد عنيف مع نفسه ومع من حوله. ومن منطلق هذه الآية الكريمة حرص الإسلام على تحقيق التوازن للإنسان، فرسم له الوسائل الصحيحة التي تعينه على ذلك.

وعليه فالواجب على الوالدين اتباع سياسة موحدة مع الأبناء؛ لتحقيق التوازن لهم، أي أن تكون سياسة الوالدين في التربية ثابتة، بحيث لا تتعارض أوامر أحدهما مع الطرف الآخر.

واتباع سياسة ثابتة مع الأبناء يسهم في بناء شخصية متكاملة قادرة على التكيف مع البيئة، والتعايش مع المشاكل التي تعترضهم، وإيجاد حلول واقعية صحيحة لهم.

ومن الانفعالات التي تستثار لدى الطفل الخوف والغضب والغيرة ولكل منها مثيراته، ولذا كان على الوالدين التعرف على تلك المثيرات من أجل تفادي المواقف التي تثير انفعالاته، أو ضبطها وتصريفها بطرق سليمة، مع إحاطة الطفل بجو من الحب والرعاية، والاهتمام والتركيز على نواحي القوة لديه، وتنمية ثقته بنفسه مع التوجيه والتأديب[1].

٥ ـ تلبية حاجات الأطفال الأساسية:

قبل أن نتناول حاجات الطفل بالدراسة يجدر بنا أن نعرف الحاجة والدافع.

الحاجة:

حالة من النقص والافتقار، أو الاضطراب الجسمي والنفسي، إن لم تلق إشباعاً أثارت لدى الفرد نوعاً من التوتر والضيق لا يلبث أن يزول متى قضيت الحاجة، أي متى زال النقص أو الاضطراب واستعاد الفرد توازنه. فمتى أعوز جسمه الطعام شعر بالحاجة إليه، ومتى سيطر عليه الخوف افتقر إلى الأمن.

الدافع:

حاجة داخلية جسمية، أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة، وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة كالدافع إلى الأكل والشرب[2].

وتصنف الدوافع إلى:

١ ـ الدوافع الفطرية الأولية وهي التي يولد الفرد مزوداً بها وتتمثل في:

أ ـ حاجات تكفل المحافظة على بقاء الفرد؛ كالحاجة إلى الطعام، والماء، و الأكسجين... إلخ.

ب ـ حاجات تكفل المحافظة على بقاء النوع؛ وهي الحاجة الجنسية أو الدافع الجنسي، ودوافع الأمومة.

---

(١) تربية الأطفال في رحاب الإسلام/ محمد حامد الناصر، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) أصول علم النفس/ أحمد عزت راجح، ص٧٠ ـ ٧٣.

٢ ـ الدوافع الثانوية وتتمثل في الحاجات النفسية:

كيف تتكون الدوافع الثانوية؟

حين يشعر الطفل بالجوع، أو حين يتسخ، أو يشعر بالألم، أو عدم الراحة فإن الأم تكون في كل الأحوال هي مصدر سعادته وراحته واطمئنانه. وفي ثنايا الدوافع الأولية تنشأ الدوافع الثانوية، ومن أهمها:

١ ـ الحاجة إلى الأمن:

الشعور بالأمن شرط أساسي من شروط الصحة النفسية، وخوف الطفل من فقدان السند أو غياب الأم مصدر الحب والحنان والمبالغة في لومه وعتابه وعقابه وإهماله ونبذه مع شعوره بالعجز وحاجته إلى من هم أكبر منه ـ يهدد هذه الحاجة.

ومما يرضي ويشبع هذه الحاجة لدى الطفل التجاوب الانفعالي مع من هم أكبر منه وخاصة والديه، يشاركونه ألعابه، ويستمعون إليه، ويجيبون على تساؤلاته.

وترتبط حاجة الطفل إلى الأمن في سنواته الأولى بالحاجات الفسيولوجية من غذاء ونوم وإخراج، ويتوقف أمن الطفل في فترة رضاعته على ما يلقاه من إشباع لهذه الحاجات الملحة، ولذلك كانت عناية الإسلام به في هذه المرحلة الحرجة، يقول تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٣].

فالطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى دفء الأم، والاتصال اللمسي الوثيق بما لا يقل أهمية عن التغذية الجسمية التي يستخلصها من الرضاعة، وهذه الخبرات بدورها تزود الرضيع الشعور بالأمن، وتقوي ثقته بنفسه، كما يستقي من ثدي أمه كل ما يحتاج إليه من الأمن الانفعالي، من نشاط الفم في الامتصاص، ومن الاتصال الوثيق بالأم.

وقد انتهى أحد أطباء الأمراض العقلية للأطفال بعد إجراء دراسات على الرضيع إلى أن الأم والرضيع ـ حتى بعد الولادة ـ لا يزالان يكونان وحدة من الوجهة النفسية، وأن العلاقات الجسمية الوثيقة بينهما ضرورية

للنمو، وأن خبرات مثل الرضاعة والهز والغناء تشبع أعمق المطالب النفسية عند الرضيع.

وقد وجدت كارلر (Carler) في بحث أجرته على مجموعتين من الأطفال الدارجين؛ لمعرفة أثر الربت على الكتف (الطبطبة)، والتنشيط اللفظي المقنن على الأطفال، فوجدت أن الأطفال الذين حظوا بهذه الرعاية الإضافية أظهروا كسباً أكبر من النمو عن أطفال المجموعة الضابطة، ولذلك فالأمن الذي يشتقه الرضيع من تعامله مع أمه، ومن اعتماده عليها، ومن حنانها وعطفها وحمايتها يظل ثابتاً في قرارة نفسه يبني عليه مزيداً من الأمن[١].

وقد أكد العلماء المسلمون على هذا الجانب، حيث ذكر المبرد في (الكامل): «أن الخرقاء تبيت ولدها جائعاً مغموماً؛ لحاجته إلى الرضاع، ثم تحركه في المهد حتى يغلبه الدوار فينومه، والكيّسة تشبعه وتغنيه في مهده، فيسري ذلك الفرح في بدنه من الشبع»[٢].

وتؤكد التربية الإسلامية على أن حنان الأم لازم لإحساس الطفل بالأمن والاطمئنان، ويترتب على هذا الشعور أن تزداد ثقته بنفسه، ثم ثقته في المجتمع.

وتؤدي العلاقة بين الطفل وأمه دوراً كبيراً في غرس بذور الصحة، أو المرض بالنسبة للطفل، ويخضع ذلك بدوره للأساليب التي تتبعها الأم مع طفلها في التنشئة الاجتماعية. وتبدأ هذه العلاقة الحارة الحميمة بين الطفل وأمه بما تغدقه على طفلها من مشاعر الحب، وبما تهيئه له من رعاية، وبما توفره له من الأمن والطمأنينة.

ويؤكد بولبي على تلك العلاقة الحارة الحميمة بين الأم وطفلها؛ حيث يشير إلى أن أساس الصحة النفسية والعقلية والنمو النفسي السليم للطفل هو أن يمارس ألواناً من العلاقات الحارة الحميمة مع أمه، أو مع بديلة لها تكون له بمثابة الأم[٣].

---

(١) نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة/ فوزية دياب، ص٩٢ ـ ٩٣.

(٢) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٤٢٨.

(٣) الأسرة ومشكلاتها/ محمد علي حسن، ص١٥٣.

فالطفل يشعر بالثقة، ويزداد الشعور بالأمن لديه كلما شعر بحنان أمه وعطفها ورعايتها، وبذلك يبني على الأمن الذي لديه، ويرسخ الشعور لديه بالراحة والاطمئنان.

ولذا فإن من العوامل التي تزعزع هذا الشعور لدى الطفل، وتفقده الأمن، تفكك الروابط الأسرية، والشجار الدائم بين الوالدين، ولذلك فقد أكد الإسلام على عدم التفريق بين الطفل وأمه حتى نجنبهم الشعور بالوحشة والعزلة وفقدان الأمن، وما قد يترتب عليه من نزعات عدوانية تتولد لدى الطفل، يقول أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»**[1].

وقال ﷺ: **«ملعون من فرق بين والدة وولدها»**. وحين يتعذر استمرار الحياة الأسرية بين الزوجين فإن الشريعة الإسلامية قد أوجبت للأم حق الحضانة للطفل؛ حتى لا يحرم حنان الأم وعطفها في سنواته الأولى، والتي تعتبر المرحلة الأساسية لوضع حجر الأساس لبناء قوي، فيخرج إلى المجتمع قادراً على التكيف مع جميع أفراده متجاوباً مع معاييره.

٢ ـ الحاجة إلى الحب والتقبل:

إن شعور الطفل بالأمن داخل أسرته يشعره بالحب للعالم الذي حوله، وذلك من خلال الأم مصدر الأمن بالنسبة له ومنبع الحب والحنان، فيشعر بالراحة النفسية حين تحتضنه لترضعه ثديها، فيستشعر دفء العواطف الجياشة التي تكنها الأم لطفلها حين تلاعبه، وهو يرضع وتربت على خديه بلمسة حانية يكون لها أكبر الأثر في نفس الطفل، وحين تحتضنه عند عودتها من خارج المنزل تأخذه بين يديها، وفي أحضانها، فيستشعر حنانها وحبها، وحين تجلس إلى جانبه قبل النوم، تحكي له بعض القصص والبطولات الإسلامية، وحين يكبر الطفل تتسع دائرته؛ ليتبادل الحب مع أفراد الأسرة الآخرين.

وحين يفتقد الطفل هذه الرعاية والاهتمام والحب يسوء تكيفه، ويفقد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٤١٢).

توازنه، ويخرق سلوكه، ويفقد ثقته بنفسه وبالناس، ولقد أكدت الشريعة الإسلامية على هذا الجانب ووجهت عنايتها له، ولنا في الرسول ﷺ خير مثال، فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ لقي الحسين بن علي - رضي الله عنهما - يلعب في الطريق، فأسرع إليه ثم بسط يديه، ثم اعتنقه فقبله، ثم قال النبي ﷺ: **«حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب الحسن والحسين»**[١].

ولقد كان ﷺ يلاعب الأطفال ويمازحهم، وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: **«أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**[٢].

فإذا كان الطعام غذاء الجسم كان الحب غذاء النفس به تستقيم، وتستبشر، ولذلك كانت حاجة الطفل إلى الحب مثل حاجته إلى الطعام والأوكسجين. فإن حرمان الطفل من الحب يجعله يعاني من الجوع العاطفي، ويصبح هو نفسه لديه جدب في المشاعر، ويعجز بالتالي عن التكيف، وتبادل الحب والحنان في المستقبل مع من حوله من أفراد المجتمع.

ويتأكد للطفل حب والديه من خلال الحياة اليومية بعديد من الأساليب وطرق المداعبة؛ كنغمة الكلام الموجهة إليه، والمعانقة، واللمسة الرقيقة، والابتسامة العذبة، وقبلة المساء، والجلوس في حجر أمه وهي تقص عليه إحدى القصص. كل هذا من أساليب الملاعبة والتودد يشعر الطفل بالرضا والسعادة، فينشا متوازناً مع نفسه، ومع جميع أفراد المجتمع من حوله[٣].

---

(١) الأدب المفرد للبخاري، ص١١٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٧٩).

(٢) الأدب المفرد للبخاري، ص٩٠، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٦٧).

(٣) نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة/ فوزية دياب، ص٩٦.

٣ ـ الحاجة إلى التقدير واحترام الذات:

الحاجة إلى التقدير تتمثل في محاولة الفرد أن يسلك سلوكاً معيناً يحظى عن طريقه بتقدير واحترام الآخرين له[1]؛ ولذلك فإن عبارات الثناء والمدح حين يسمعها الطفل من والديه فإنها تعزز السلوك المرغوب، وكثيراً ما يتنازل الطفل عن بعض رغباته إذا ما تعارضت مع رغبات الآخرين؛ لأن عبارات الثناء والمدح تشعره بأهميته ومكانته، رغبةً منه في إثبات ذاته وتوكيدها، فإنه يسعى إلى بذل مزيد من الجهد؛ فيقدم خدماته ويتجاوب مع من حوله لإثبات ذاته، وبإمكان الوالدين الإفادة من هذه الحاجة لدى الطفل؛ لترسيخ وتثبيت المبادئ الإسلامية الصحيحة من خلال التشجيع ـ المدح والثناء ـ، وبعض الهدايا، واللعب البسيطة التي يسعد بها الطفل.

وكثيراً ما يعرض خدماته على من حوله في المنزل كأن يحاول أن يمسك بالمكنسة رغبة في المشاركة في تنظيف المنزل، أو محاولته ارتداء حذائه أو ملابسه، أو المشاركة في تقديم الحلوى للضيوف. ويمكن أن تعزز هذه الرغبة وهذا الشعور لدى الطفل من خلال تكليفه ببعض المهام البسيطة في المنزل، أو إيفاده لقضاء مهمة خارج المنزل تتناسب مع سنه.

وتشير العديد من الدراسات النفسية إلى حاجة الطفل إلى التقدير والاحترام؛ تأكيداً لذاته، ولمساعدته على النمو السليم الخالي من العقد النفسية، إلا أن المتأمل لكتاب الله تعالى والسنة النبوية يجدها قد أشارت منذ ١٤ قرناً إلى تلك المبادىء والحاجات، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة فرأيت صبياناً، فقعدت معهم، فجاء النبي ﷺ فسلم على الصبيان.

كما كان الرسول ﷺ يمازح الأطفال ويلاعبهم، يقول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النغير؟**»[2].

---

(١) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٤٣٥.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، ص١٠٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٠٣).

إن تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال بهذا الأسلوب، واحترام شخصياتهم يزيد من ثقتهم بأنفسهم حين يجلس إليهم، ويسلم عليهم، فلقد كانت توجيهاته الدائمة للأطفال ومشاركته ألعابهم، وملاطفتهم، وتعامله معهم بأسلوب متميز، تشكل جميعها صرحاً قوياً راسخاً للتربية الإسلامية، وهاهو يحترم الصغير ويقدره وهو في جماعة الكبار حين يستأذنه في أن يقدم الجالس إلى يساره عليه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أتي بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**» فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فتلّه ـ أي وضعه ـ رسول الله ﷺ[1].

ولقد سار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من بعده على نهجه، فهاهم صغار الأطفال يدخلون على رسول الله ﷺ بعد وفاته لإلقاء آخر نظرة على جثمانه، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أول من صلى عليه ـ يعني النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب وبنو هاشم، ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون والأنصار، ثم الناس رفقاً رفقاً، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفاً صفوفاً، ثم النساء[2].

٤ ـ الحاجة إلى الانتماء (أو الحاجة للجماعة):

إن الإنسان اجتماعي بطبعة، ومنذ اللحظات الأولى لولادته، ومن خلال رعاية الأم له وقيامها بجميع شئونه، فإن ترك بعد ذلك بمفرده، ولم يكن نائماً فإنه يبكي، وما أن يرى أو يستشعر أن هناك من استجاب لبكائه فإنه يتوقف عن البكاء، كما أن مجرد إحساسه بوجود شخص ما معه في حجرته يشعره بالطمأنينة والأمان.

وينمو هذا الشعور تدريجياً في نفس الصغير، وتتسع الدائرة من حوله فمن الأم إلى الأب والأخوة، ومن هؤلاء جميعاً يكتسب اللغة وأساليب

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل/ محمد نور سويد، ص١٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى/ ابن سعد الواقدي، ج ٢ص٦٩.

السلوك الاجتماعي، وقيم وعادات واتجاهات مجتمعه، وتزداد شبكة علاقاته اتساعاً فمن الأسرة إلى مؤسسة اجتماعية وهي المدرسة، فيكتسب منها كثيراً من الخبرات المعرفية والمهارات، وخلال رحلة الحياة التي يعيشها تتعدد، وتتنوع مصادر المعرفة والخبرات والقيم والاتجاهات التي يكتسبها الفرد؛ ففي مراحل حياته الأولى كانت الأسرة تمثل الجماعة الأولية في حياته، ويحرص هو بدوره أن يكون مقبولاً لدى هذه الجماعة، إلا إن مرحلة المراهقة تعتبر مرحلة حاسمة في حياة الطفل حيث يرغب في الانضمام إلى جماعة في مثل سنه، بالإضافة إلى انضمامه إلى جماعات أخرى، مثل: جماعة النادي، أو أي جماعة أخرى تمثل أنشطة اجتماعية متنوعة[١].

إلا أن انضمام الابن إلى تلك الجماعات لا يعني انفصاله عن الأسرة، وهنا يبرز دور الوالدين ومهارتهما في إبقاء الروابط الاجتماعية بين الابن وأسرته، والإبقاء على شعوره بالانتماء إليها، وذلك من خلال تعاملهما معه، وإشعاره بحاجتهم الماسة إليه؛ وذلك بتكليفه بأداء بعض المهمات لأفراد الأسرة، فإن ذلك يحقق حاجته إلى تقدير الذات مع شعوره بالانتماء لأسرته.

٥ ـ الحاجة للحرية والاستقلال:

إن الحاجة إلى الحرية والاستقلال وثيقة الاتصال بالحاجة إلى التقدير وإثبات الذات؛ ولذلك فإن تأكيد الذات لا يتحقق بصورته الكاملة إلا بالاستقلال والحرية التي تمنح للطفل في إطار من الضبط الموجه، دون الإسراف والمبالغة في الحماية الزائدة.

فالطفل عندما يتمكن من المشي تتسع دائرة علاقاته، وتزداد حاجته للحرية والاستقلال متمشية مع نموه، ومطالب تطوره الجسمي والعقلي والوجداني والاجتماعي، فهو في حاجة لحرية المشي والكلام والجري والتسلق والحفر والتجريب والهدم والبناء، وفي حاجة إلى اللعب بكل مظاهره، فاللعب بالأشياء، واللعب مع الأطفال والكبار كل هذه المظاهر تزيد

(١) المدخل إلى علم النفس/ إبراهيم وجيه محمود، ص٤٥ ـ ٤٦.

من ثقته بنفسه، وتزيد أمنه واطمئنانه[١]، بعيداً عن الأم، إلا أنه مما يعيق هذه الحرية المبالغة الزائدة في الحماية، والإفراط فيها خشية أن يصاب الطفل بمكروه، أو يُعتدى عليه من أحد الأطفال، وقضاء جميع حوائجه له، وبذلك يحرم الاعتماد على نفسه والاستقلال، والحرية، والثقة بالنفس، مما قد يترتب عليه ظهور بعض أعراض سوء التكيف على الطفل.

وعلى العكس حين نغرس في الطفل بذور الثقة في النفس من خلال عبارات المدح والثناء عند ما ينجح في أداء عمل ما أسند إليه، وحين نمنح الطفل فرصة التعبير عن آرائه ورغباته، ونشاركه الرأي في اختيار ملابسه، فنكون بذلك قد أشعرنا الطفل بأنه ذات مستقلة لها الحق في أن تعبر عن رأيها، ويُلحظ هذا في سلوك الصغير عندما يصر على ارتداء ملابسه بنفسه، أو أن يفعل هذا الشيء أو ذاك أو عندما يعبر عن رغبته في الخروج إلى اللعب.

ويكبر، وينمو هذا الشعور لدى الطفل، ويزداد كلما تقدم به العمر، فتلحظه بوضوح لدى المراهق حين يعلن استقلاله عن الكبار، ورغبته في الخروج متى شاء والعودة متى أراد.

وفهمنا لحاجة الطفل للحرية والاستقلال وهو طفل يجعلنا نمنحه هذا الحق في إطار من الضبط والتوجيه؛ فالطفل في كل حياته يحتاج إلى توجيه وضبط يساعدانه على تمييز الصواب من الخطأ، وعندما ينشأ الطفل في جو من الحب، والتقبل، والثقة بالنفس مع السماح له بحريةٍ ضمن حدود يتم الاتفاق عليها، مع التدخل عند الضرورة بالتوجيه إن تجاوز الحدود المتفق عليها، فنكون بذلك قد أشبعنا حاجته للحرية والاستقلال في ضوء المعايير والقواعد التي تم الاتفاق عليها مسبقاً[٢].

ولذلك كان من واجبات الوالدين تقديم الإرشاد اللين، والتوجيه اللطيف؛ فالطفل في حاجة دائمة إلى سلطة ضابطة، وإلى النظام باعتباره إطاراً للحياة، إلا أنه يجب تفادي الصرامة والقسوة في إلزام الطفل ما يؤمر

---

(١) نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة/ فوزية دياب، ص١٠١.

(٢) المدخل إلى علم النفس/ إبراهيم وجيه محمود، ص٤٤.

به فالحزم الممزوج بالعطف والرفق هو السبيل الوحيد مع الطفل، وإلى ذلك يشير ابن خلدون فيقول: (من كان مرباه بالعسف والقهر... سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وربما صارت له هذه عادة وخلقاً).

وإلى خطر استخدام الشدة والقسوة والعنف في تربية الطفل ذهب كل المربين المسلمين كابن سينا وأبي حامد الغزالي.

كما أثبتت الدراسات الحديثة أن الأطفال الذين يسيطر عليهم الآباء ضائعون، خجلون، كثيراً ما يظهرون بمظهر مضطرب، كما أنهم يشعرون بالنقص، وأنهم ليسوا أكفاء، إضافة إلى وجود روح عدائية كامنة فيهم[١]؛ ولذلك كان التوزان في استخدام السلطة هو من خير الوسائل دون إفراط، ولا تفريط فلا يكون هناك إسراف في التدليل، ومبالغة فيه، أو إسراف في الشدة والعنف والقسوة، فلكل منهما آثاره السلبية على الطفل.

وهناك وسائل شتى تشبع من خلالها الحاجة للحرية والاستقلال، وتأكيد الذات، ولنا في ذلك نماذج شتى من تضحية وجهاد أطفال الصحابة والسلف الصالح، فعن سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله ﷺ يعرض غلماناً من الأنصار كل عام فيُلحق من أدرك منهم، فعُرضت عاماً فألحق غلاماً وردني، فقلت: يا رسول الله لقد ألحقته، ورددتني، ولو صارعته لصرعته، قال: فصارعه، قال: فصارعته فصرعته فألحقني» قال الحاكم: صحيح الإسناد[٢].

هذه صورة مشرقة للتربية الإسلامية نوردها هنا لتحرص كل أم على تربية أولادها تربية صالحة تغرس فيهم بذور الثقة والشجاعة والإقدام، وها

---

(١) التربية الإسلامية وتحديات العصر/ عبدالغني عبود، ص٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٢) انظر المستدرك، ج٢، ص٦٠ ـ ٦١، ووافقه الذهبي وقال: صحيح.

هو سمرة بن جندب يقف أمام رسول الله ﷺ يراجعه طالباً منه أن يسمح له بالجهاد؛ ثقة وحرية واستقلالية وجرأة، يعبر عن رأيه عند رسول الله ﷺ واثقاً من نفسه: «ولو صارعته لصرعته»، وبالفعل يصرعه، فيلحقه رسول الله ﷺ بهم.

المراجع

١ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد الغزالي: دار المعرفة ـ بيروت.

٢ ـ **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل البخاري (١٣٧٩هـ). تحقيق قصي محب الدين الخطيب.

٣ ـ **أستاذ المرأة**، محمد بن سالم البيحاني: دار الكتب العلمية.

٤ ـ **الأسرة تحت رعاية الإسلام «الحجاب بين التشريع والاجتماع»**/ عطية صقر ج١، ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م): مؤسسة الصباح ـ الكويت.

٥ ـ **الأسرة وكيفية دراستها وحل مشاكلها**، د/ سعيد بن علي بن مانع، ط١ (١٤١٠هـ): مطابع الصفا ـ مكة.

٦ ـ **الأسرة ومشكلاتها**، محمود حسن (١٩٦٨م): دار المعارف.

٧ ـ **أسس علم النفس الاجتماعي**، مختار حمزة أستاذ علم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز جدة، ط٢ (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م): دار المجمع العلمي ـ جدة.

٨ ـ **الإسلام عقيدة وشريعة**، محمود شلتوت (١٣٩٥هـ): دار الشروق ـ القاهرة. بيروت. ط٨.

٩ ـ **الإسلام والمرأة المعاصرة**، البهي الخولي (١٤١٤هـ): دار القلم ـ الكويت. ط٥.

١٠ ـ **الإسلام وبناء المجتمع**، أحمد محمد العسال، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م): دار القلم للنشر والتوزيع ـ الكويت. ط٢.

١١ ـ **الإسلام ومشكلات الحضارة**/ سيد قطب، دار الشروق ـ بيروت/ القاهرة.

١٢ ـ **الأشباه والنظائر**، لابن نجيم المتوفى سنة (٩٧٠هـ) تحقيق وتعليق عبدالعزيز محمد الوكيل (١٣٨٧هـ): مؤسسة الحلبي بالقاهرة.

١٣ ـ **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، عبدالرحمٰن النحلاوي (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م): دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان.
١٤ ـ **أصول علم النفس**، أحمد عزت راجح (١٩٧٣م): المكتب المصري الحديث. ط٩.
١٥ ـ **اتجاهات المرأة السعودية نحو العمل المنزلي والعوامل المؤثرة عليها**، بحث مكمل لدرجة الماجستير، ابتسام عبدالله الزوم (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للاقتصاد المنزلي.
١٦ ـ **استراتيجيات التنمية والبترول**، عبدالهادي طاهر.
١٧ ـ **بعض سمات شخصية المرأة السعودية في ضوء متغيري التعليم والعمل**، مي عبدالعزيز السالم.
١٨ ـ **تاج العروس**، للزبيدي: دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
١٩ ـ **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، محمد أحمد درويش (١٩٨٥م) جدة: دار الشروق.
٢٠ ـ **تحفة المودود بأحكام المولود**، ابن قيم الجوزية: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢١ ـ **التربية الإسلامية وتحديات العصر**، عبد الغني عبود. حسن إبراهيم عبدالعال (١٩٩٠م). ط١: دار الفكر العربي.
٢٢ ـ **تربية الأطفال في رحاب الإسلام «في البيت والروضة»**، محمد حامد الناصر ـ خولة عبدالقادر درويش، ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م): مكتبة الوادي للتوزيع.
٢٣ ـ **تربية الأولاد في الإسلام**، عبدالله علوان. ط٣ (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م): دار السلام للطباعة والنشر ـ بيروت ـ حلب.
٢٤ ـ **التغير الأسري في المجتمع السعودي**، عبدالإله سعد بن سعيد، رسالة ماجستير «غير منشورة». جامعة الملك سعود بالرياض (١٤٠١هـ).
٢٥ ـ **التغير الاجتماعي ودور المرأة في المجتمع السعودي**، مها العبدان، دراسة ميدانية في مدينة الرياض.
٢٦ ـ **تفسير العلامة أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**/ أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي: دار الفكر ـ بيروت.
٢٧ ـ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن كثير القرشي (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م): دار المعرفة بيروت. ط٢.

٢٨ ـ **التفسير الكبير**، الفخر الرازي (٦٠٦هـ): المطبعة البهية المصرية. ج١٠.
٢٩ ـ **توجيهات وذكرى**، صالح بن عبدالله بن حميد، من خطب المسجد الحرام المجموعة الأولى ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م): مكتبة الضياء ـ جدة.
٣٠ ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م): مؤسسة الرسالة، ط٩.
٣١ ـ **جامع الإمام محمد بن عيسى الترمذي بشرح تحفة الأحوذي**، للمباركفوري صححه عبدالرحمٰن محمد عثمان ـ ط٢ سنة ١٣٨٥هـ: المكتبة السلفية بالمدينة.
٣٢ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٢.
٣٣ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ): دار الكتاب العربي ـ القاهرة.
٣٤ ـ **حاشية رد المحتار**، لابن عابدين، المتوفى سنة ١٢٥٢هـ على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ط٢ (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م): مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣٥ ـ **الحجاب**، أبو الأعلى المودودي (١٣٩٨هـ): مؤسسة الرسالة.
٣٦ ـ **حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة**، فاطمة نصيف (١٤١٦هـ): مطبعة القرني. ط٢.
٣٧ ـ **دراسات حول الأسرة العربية**، فاديا عمر الجولاني (١٩٩٨م): مركز الإسكندرية للكتاب.
٣٨ ـ **دراسات في المجتمع السعودي**، السيد علي شتا: مؤسسة شباب الجامعة.
٣٩ ـ **دستور الأسرة في ظلال القرآن**/ أحمد فائز. ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م): مؤسسة الرسالة.
٤٠ ـ **دعم دور الأسرة في مجتمع متغير**/ المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.
٤١ ـ **دور الأسرة السعودية في نقل القيم الاجتماعية**، الجوهرة عبدالمحسن الخلف، رسالة مكملة لنيل درجة الماجستير «غير منشورة». جامعة الملك سعود بالرياض.
٤٢ ـ **دور المرأة في المجتمع الإسلامي**، توفيق علي وهبة (١٣٩٨هـ): دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض. ط١.
٤٣ ـ **رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية**، إيناس عباس إبراهيم (١٤٠٥هـ): دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ـ الكويت. ط١.

٤٤ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية ط٣ (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م): دار الفكر ـ البيروت.
٤٥ ـ **سنن أبي داود**، للإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني الأزدي، راجعه على عدة نسخ وطبع أحاديثه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد الجوزي: دار إحياء السنة المحمدية.
٤٦ ـ **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (١٣٧٥هـ): دار إحياء التراث العربي.
٤٧ ـ **سنن النسائي**، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي: دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٤٨ ـ **صحيح البخاري بشرح فتح الباري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني تصحيح وتعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب: المكتبة السلفية.
٤٩ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٢ (١٤٠٦هـ): المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٥٠ ـ **صحيح مسلم بشرح النووي** (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م): دار الفكر ـ بيروت. ط٢.
٥١ ـ **صراع الدور لدى المرأة السعودية العاملة وعلاقته بمستوى الطموح**، جواهر عبد الله آل الشيخ، رسالة ماجستير «غير منشورة» جامعة الملك سعود الرياض (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
٥٢ ـ **صيد الخاطر**، لأبي الفرج عبدالرحمٰن الجوزي: دار المعرفة ـ بيروت.
٥٣ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد الواقدي (١٣٢٥هـ). نشرة دورية، ليدن: مؤسسة النصر. طهران.
٥٤ ـ **طبيعة المرأة في الكتاب والسنة**، عبدالمنعم سيد حسن (١٩٨٥م). ط١.
٥٥ ـ **علم النفس الاجتماعي**، سيد أحمد عثمان، كلية التربية جامعة عين شمس: مكتبة الإنجلو المصرية.
٥٦ ـ **علم النفس التربوي**، فؤاد أبو حطب وآمال صادق (١٩٨٠م). ط٢.
٥٧ ـ **علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام**، محمود محمد محمد (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م): دار الشروق. جدة. ط١.
٥٨ ـ **علوم القرآن والحديث**، أحمد علي داود (١٩٨٤م): دار البشير ـ عمان.
٥٩ ـ **العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة السعودية المتعلمة في التنمية**، سهيلة

محسن الإبراهيم، رسالة دكتوراه «غير منشورة» وكالة الرئاسة لكليات البنات: الرياض (١٤١٢ هـ).
٦٠ ـ **الفتاوى الكبرى**، لابن تيمية (١٣٢٦هـ).
٦١ ـ **فتح الباري بشرح صحيح الإمام إبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري**، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني: المكتبة السلفية.
٦٢ ـ **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفى سنة (١٢٥٠هـ)، وثق أصوله وعلق عليه سعيد محمد اللحام (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٦٣ ـ **قاموس اكسفورد**.
٦٤ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفي سنة ٩٧٥هـ، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري حياتي ـ صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوت السقا: مؤسسة الرسالة.
٦٥ ـ **الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة**: مكتبة المعارف الرياض، عمارة نجيب (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ط١.
٦٦ ـ **لسان العرب**، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ط٣ (١٤٠٤هـ/ ١٩٩٤م): دار صادر ـ بيروت.
٦٧ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، أبو الحسن الندوي. ط٧ (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م): دار الكتاب العربي ـ دمشق.
٦٨ ـ **ماذا عن المرأة**، نور الدين عتر. ط٣ (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م): دار الفكر ـ دمشق.
٦٩ ـ **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي (١٩٦٧م): دار الكتاب العربي ـ بيروت. ط١.
٧٠ ـ **مختصر منهاج القاصدين**، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي. ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٢م): مطبعة الحلبي.
٧١ ـ **المدخل إلى علم النفس**، إبراهيم وجيه محمود (١٩٨٠م): دار المعارف.
٧٢ ـ **المرأة المسلمة أمام التحديات**، أحمد عبدالعزيز الحصين (١٤٠٦هـ ـ ١٤٠٧هـ): دار البخاري للنشر والتوزيع. ط٥.
٧٣ ـ **المرأة بين الفقه والقانون**، مصطفى السباعي: المكتبة العربية بحلب. ط٢.

٧٤ ـ **المرأة في القرآن**، عباس محمود العقاد. ط٣ (١٩٦٩م): دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧٥ ـ **المرأة وحقوقها في الإسلام**، مبشر الطرازي الحسيني: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٦ ـ **المرأة وحقوقها في الإسلام**، محمد الصادق عفيفي (١٤٠٢هـ): الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي. السنة الثانية.

٧٧ ـ **المستدرك على الصحيحين**، للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسبوري المتوفى ٤٠٥هـ وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ بيروت.

٧٨ ـ **مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ـ المكتب الإسلامي ـ دار صادر ـ بيروت.

٧٩ ـ **معجزة فوق الرمال**، أحمد عسه، ط٢ (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م): المطابع الأهلية اللبنانية.

٨٠ ـ **المقصد من عقد الزواج**/ صالحة دخيل الحليس، رسالة ماجستير غير منشورة.

٨١ ـ **الملل والنحل**، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. تحقيق محمد سيد كيلاني (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م): مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٨٢ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ج١: دار إحياء الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٨٣ ـ **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور سويد. ط١ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): مكتبة المنار الإسلامية.

٨٤ ـ **منهج السنة في الزواج**، محمد الأحمدي أبو النور. ط٥ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م): دار السلام للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٨٥ ـ **منهج القرآن في إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات**، نجبة غلام نبي، رسالة دكتوراه غير منشورة.

٨٦ ـ **موسوعة الحديث الشريف**، الكتب الستة بإشراف ومراجعة الشيخ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة محرم ١٤٢١هـ إبريل ٢٠٠٠م: دار السلام للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية.

٨٧ ـ **موسوعة علم النفس**، إعداد الدكتور أسعد رزوق، مراجعة الدكتور عبدالله

عبدالدائم، ط٢ (١٩٧٩م): المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت.
٨٨ - **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**، عبدالمنعم حنفي (١٩٧٨م): مكتبة مدبولي.
٨٩ - **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة**، فوزية دياب: مكتبة النهضة المصرية.
٩٠ - **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن كثير، تحقيق طاهر زواوي - محمود الطناحي، ط٢ (١٣٩٩هـ): دار الفكر.
٩١ - **اليهودية**، أحمد شلبي. ط٥ (١٩٧٨م): مكتبة النهضة المصرية.
٩٢ - **قاموس علم الاجتماع**، أ. د. محمد عاطف غيث (١٩٩٥م): دار المعرفة الجامعية. الأزاريطة. قناة السويس، الشاطبي.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
مفهوم الدور:	٦
مفهوم الدور في اللغة:	٦
مفهوم الدور من وجهة نظر علماء النفس:	٧
مفهوم الكيان (بناء) (Structure):	٧
مفهوم البناء الاجتماعي (Social structure):	٨
مفهوم المجتمع (Society):	٨
مكانة المرأة وأدوارها الاجتماعية عبر التاريخ	١٠
أولاً: المرأة في الحضارة الصينية:	١٠
ثانياً: المرأة في الحضارة الهندية:	١١
ثالثاً: المرأة في الحضارة البابلية والآشورية:	١٢
رابعاً: المرأة في الحضارة الفارسية:	١٣
خامساً: المرأة في الحضارة اليونانية:	١٤
سادساً: المرأة في الحضارة الرومانية:	١٥
سابعاً: المرأة في الحضارة اليهودية:	١٧
ثامناً: المرأة في الحضارة المسيحية:	١٩
مكانة المرأة في الجاهلية	٢٢
أولاً: نكاح الناس اليوم:	٢٤

الموضوع	الصفحة

ثانياً: نكاح الاستبضاع: ٢٤
ثالثاً: نكاح السفاح: ٢٤
رابعاً: نكاح البغايا: ٢٤
خامساً: نكاح الشغار: ٢٥
سادساً: نكاح المتعة: ٢٥
سابعاً: نكاح البدل: ٢٥
ثامناً: نكاح المقت (الزواج بالميراث): ٢٥
صور إيجابية قبل الإسلام ٢٧
المرأة في الإسلام ٢٩
الــزواج ٣٥
تعريف الزواج ٣٥
الزواج في اللغة: ٣٥
الزواج في الاصطلاح: ٣٦
مقاصد الشارع من الزواج ٣٦
فوائد الزواج ٤٤
أولاً: خلق الأزواج من النفوس: ٤٤
ثانياً: السكن إليها: ٤٦
ثالثاً: المودة بين الزوجين: ٤٧
رابعاً: الرحمة بين الزوجين: ٤٧
صورة مختصرة عن الزواج في الإسلام ٤٩
١ ـ مرحلة الاختيار: ٤٩
٢ ـ مرحلة الخطبة والنظر: ٥٠
٣ ـ مرحلة الارتباط الفعلي عن طريق عقد الزواج: ٥٠
٤ ـ القوامة: ٥٢
أسباب القوامة: ٥٤
١ ـ وهبي فطري: ٥٥

الموضوع	الصفحة

٢ ـ كسبي مادي: ٥٦
أهمية الزواج ٥٩
دور المجتمع في حياة الأسرة ٦١
ميلاد المملكة العربية السعودية معجزة فوق الرمال ٦٣
المملكة العربية السعودية: ٦٣
البناء الديمجرافي للمجتمع السعودي (توزيع السكان على المساحة): ٦٦
دور المرأة السعودية في الحفاظ على كيان الأسرة خلال القرن الماضي .. ٦٧
الخصائص الاجتماعية للمجتمع السعودي: ٦٧
المرأة السعودية سماتها العامة وأدوارها الاجتماعية ٧٥
الأسس التي تقوم عليها التربية ٨٠
أولاً: القرآن الكريم: ٨١
تعريفه: ٨٢
خواصه: ٨٢
ثانيا: السّنة: ٨٤
السنة في اصطلاح الفقهاء: ٨٥
السنة في اصطلاح المحدثين: ٨٥
منزلتها من الكتاب: ٨٦
دور المرأة في الحفاظ على الكيان التربوي ٨٨
١ ـ القدوة الحسنة: ٨٨
٢ ـ الموعظة والترغيب: ٩٠
٣ ـ التربية بالقصة: ٩٢
٤ ـ العقوبة والجزاء: ٩٣
دور المرأة في الحفاظ على الكيان الاجتماعي ٩٦
١ ـ اصطحابه إلى مجالس الكبار: ٩٧
٢ ـ المشاركة في حاجات الأسرة: ٩٨
٣ ـ حب العمل والتعاون: ١٠٠

الموضوع	الصفحة

٤ ـ اتخاذ أصدقاء له (جماعة الرفاق): ١٠١

٥ ـ مبيت الطفل عند أقربائه: ١٠٣

دور المرأة في الحفاظ على الكيان النفسي ١٠٤

التربية النفسية: ١٠٤

١ ـ حسن اختيار الاسم: ١٠٦

٢ ـ حسن استقبال المولود: ١٠٦

٣ ـ العدل والمساواة: ١٠٨

٤ ـ الثبات الانفعالي: ١٠٩

٥ ـ تلبية حاجات الأطفال الأساسية: ١١٠

المراجع ١٢١

الفهرس ١٢٩